الدكتور
كمال عبد الباقي لاشين

المتنبي في مصر

دراسة تؤرخ لنفس أبي الطيب في مصر

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
تليفون : ٥١٠٦٧٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى البحــــرين ، واهلهـــا الطيبـــين ... ،
وإلى خـــيرة زمـــلائى ... ، وطـــــلابى فى
جامعـــة البحـــرين ، الـــذين صـــحبتهم خمـــس
سنوات من انفــس ما مضى من سنوات العمر .

مقدمة

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت ، والصلاة والسلام على نبينا محمد المرسل بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

وبعد ..

ففي يوم من أيام عام ١٩٧٨ م ذهبت أنا وأخي رجب إبراهيم خليل – رحمه الله تعالى – إلى بيت شيخنا محمود محمد شاكر أول مرة . كنا شابين شاديين في طلب العلم ، لم نحصل منه على كبير يعول عليه ، إلا أننا كنا نجد في أنفسنا حبا للعلم ، ورغبة في أن نعدّ في أهله .

لقينا الشيخ المهيب – وهو لا يعرفنا – لقاء نبيلا ، فأدنانا ، وحنا علينا ، حتى كسر دهشتنا ووحشتنا ، وبذل لنا من جود لسانه ووجهه ما لم نكن نطمع في القليل منه ، ثم زادنا فأعطانا نسخه من كتبه ، وفيها كتابه السابق الهادي عن أبي الطيب المتنبي . كان لقاء هذا الشيخ الجليل من حسن صنع الله لنا ، وبقي أثره في نفسي عظيما ... ثم لقيت بعده – فيمن لقيت – رجالا يعدون في العلماء ، وهم يزهدون في العلم وأهله ، لولا أن العلم شريف ، لا يزهد فيه إلا لئيم .

رجعنا يومئذ طريين نحدث بأننا لقينا الشيخ ، ثم عكفنا على كتبه التي أعطاناها مدارسة ومذاكرة ، ففهمنا من كلامه ما فهمنا ، وغاب عنا ما غاب عنا . وكان مما عقلته من كلامه عن المتنبي قوله : إنه يعتمد في شعره على الاستغراق في تأمل ما في نفسه . وإن شعره في السنوات التسع الأخيرة يفصم عن نفس منقبضة كئيبة يؤودها ما تحمله من الآمال والآلام . وقال : إنه لم يوف هذه المسألة حقها كتابة (انظر : المتنبي : ١/١٠٠ ، ٢٢٦) . ثم وجدت هذا المعنى نفسه مكررا في بعض ما كتب بعدُ عن شعر المتنبي .

فكان هذا مما دفعني إلى أن أخص مصريات المتنبي بدراسة تؤرخ لنفسه في مصر من شعره فيها ، واخترت المصريات دون غيرها من شعره لأن

مصر كانت امتحان أبى الطيب الأكبر ، ومحنته الكبرى ، فلم تمتحن نفسه فى بلد كما امتحنت فى مصر ، ولا ابتليت عند ممدوح بمثل ما ابتليت به عند كافور ، كان يأنف من أن يأتيه الكرم من بعض أحرار الرجال فساقه قدره سوقا عنيفا إلى عبد ملك يسأله ويرجوه . وكان يكره دولة الخدم ، ويمقت سلطان العجم ، فانتهى به طعمه وطموحه إلى دولة الخدم وسلطان العجم ، وأنزل رجاءه العقيم فى الولاية والملك بكافور - حين لم يحققه له من نزل بهم من أحرار الملوك - وقعد ينتظره الانتظار الطويل ، حتى إنه ليقول له :

ولو كنت أدرِي كم حياتى قسمتها
وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم
رضيت بما ترضى به لى محبة
وقدت إليك النفس قود المسلم

ديوانه : ١٣٢/٤

لهذا كان شعره فى مصر من أقوى الشعر الذى يبحث فيه عن خبايا نفس قائلة ؛ لقوة ما يظهر فيه من انفعالات النفس .

ولما كان جديد الشخصية لا ينفصل عن قديمها ، وحاضرها غير مقطوع عن ماضيها (انظر : الأسس النفسية للإبداع الفنى ... : ١٧٦) فإن التاريخ لنفس أبى الطيب فى مصر لم يكن ليتم بمعزل عن تاريخ نفسه قبلها ، لذا لم أقتصر على تأمل شعره فى مصر وحدها ، بل راجعت شعره كله لأتتبع تطور عقائده الفكرية والنفسية ، ما ثبت منها لصروف الدهر ، وما زحزحته الأحداث والحوادث .

والتاريخ لنفوس الشعراء من شعرهم على النحو الذى أحاوله هنا أراه أقرب إلى **تاريخ الأدب** منه إلى أى علم آخر من **علوم النص الأدبى**، مع الإقرار بأن علوم النص الأدبى - وإن تمايزت - تتداخل ، ويفضى بعضها إلى بعض . وهذا التاريخ النفسى يمكن أن يدخل إليه من زاوية **علم النفس اللغوى** ، الذى ينطلق من اللغة ، وينظر فى مدى طفو مقاصد المتكلم ونواياه على سطح خطابه اللغوى ، وأن يدخل إليه من زاوية **علم النفس الأدبى** ، أى : التحليل النفسانى للنصوص الأدبية

الذى ينطلق من النص إلى الأديب ، أو من المرويات التاريخية حول النص إلى النص نفسه ، ثم يعتبر النص وثيقة نفسية تقوم مقام لوحة الإسقاط فى عيادة التحليل النفسانى (انظر : الاسلوبية والأسلوب للمسدى : ١٩٦ ، ٢٤٤) ولكن محاولتى فى هذا البحث لا تلتزم أيا من هذين المنهجين ، بل تمضى على **منهج تذوقى عام** فتنطلق من النص والرواية معا ، وتنظر فى مضمون الشعر ، ولغته ، وأساليبه الفنية ، والمرويات التاريخية جميعا ، ثم تجد قدر الاستطاعة فى النفاذ إلى أغوار النص ، والديب إلى أجنته وأسراره ، بعد أن تضعه فى سياقه من تاريخ شعر الشاعر ، وتاريخ حياته ونفسه .

وفى هذا النوع من **التأريخ النفسى** مزلة محتملة ، وهى أنه قد يدفع الباحث إلى أن يصطنع منهج **التاريخ العام** ، ويحكم كحكمه ، وهما مختلفان ، فالتاريخ العام اقرار أحكام تاريخية من أخبار ووقائع قطعية موثقة ، والتأريخ الأدبى النفسى استنباط أحكام أدبية نفسية من عبارات وجدانية ، وتخييلات شعرية عن طريق التذوق ، وليس فى الأحكام المستنبطة من بيان الوجدان ، وتخييلات الشعر يقين كيقين النصوص الخبرية الموثقة ، واقصى ما يقال فيها أنها من الظن الراجح ، فلا يبنى عليها جرح للأدباء ولا تعديل ، وبعض دراسات التحليل النفسانى للنصوص تفعل هذا . (انظر على سبيل المثال : نفسية أبى نواس للدكتور النويهى : ١٩٧ ، ١٩٨) .

وهذا البحث يقع فى دائرة كتب ، وفصول ، ومقالات كثيرة سبقته إلى موضوعه ، او إلى شىء منه ذكرت بعضها فى لحق المراجع ، ولكنى ارجو ان تكون فيه إضافة تقوم بما بذلت فيه من جهد. وأولى الكتب التى سبقته بالذكر ثلاثة : الأول : كتاب المتنبى للأستاذ محمود شاكر وقد ذكرت فضله على هذا البحث وصاحبه وله فضل لا ينكر على كل من كتب عن المتنبى بعده ، والثانى : كتاب أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين للدكتور مصطفى الشكعة ، وفيه فصل طويل جدا بعنوان : المتنبى فى مصر (من ٢٤١ إلى ٤١٠) ، هو تاريخ أدبى عام لأبى الطيب وشعره فى مصر ، والثالث : كتاب كافوريات أبى الطيب:

دراسة نصية للدكتور النعمان القاضى ، وهو أقرب الثلاثة إلى موضوع كتابى هذا . وقد ذكر أنه بناه على **أربعة عناصر : الشاعر** وهو المتنبى، **والشعر** وهو المصريات ، **والممدوح** وهو كافور ، **والمكان** وهو مصر ، وأن غايته منه أن يكشف الخصائص التى تميزت بها القصائد المصرية توطئة لاستخلاص ما تميز به شعر المتنبى فى البيئة المصرية عنه فى البيئات الأخرى (انظر : صفحة ١٣) . أما بحثى فإنه مقتصر على تتبع ما فى القصائد المصرية من دلالات على أحوال نفس المتنبى ، وشئونها ، دون غيره من الجوانب .

وجعلت الكتاب فى **ثلاثة فصول** عنونت لها على التوالى بـ **(الرجاء) و (الإخفاق) ، و (شفاء النفس)** . وهذا مما اقتضاه تقسيم الكتاب ، وإلا فإن هذه المعانى الثلاثة متداخلة قلما تخلو منها قصيدة واحدة من شعر المتنبى منذ أن دخل مصر إلى أن هرب منها ، وإنها لتتعاقب على نفسه فى المقام الواحد ، والحالة الواحدة ، وإن كان الرجاء الكبير أغلب عليه فى عاميه الأولين فى مصر (٣٤٦ هـ ، ٣٤٧ هـ) ، واليأس والإخفاق وما تلاهما من التقوى وشفاء النفس أشد استيلاء على نفسه فى أعوامه الثلاثة الأخيرة عند كافور .

ولابد من الإقرار بأننى أعجلت فلم أعط هذا البحث كل حقه على عند الكتابة — وإن كان تفكيرى فيه عتيقا — وتركت كتابة أشياء كنت سودتها عن مطالع المصريات ، والتفاتاتها ، ومعجم معانيها وألفاظها، وما فيها جميعا من دلالات نفسية ، فهو إذن محاولة يمكن أن أزيدها يوما ، أو يزيدها غيرى ممن هو أقوى على مضغها منى . .

والحمد لله فى الأولى والآخرة ، والشكر له على توفيقه وإنعامه وصلى الله وسلم على نبينا الكريم محمد ، وعلى آله ، وأصحابه .

أبو حازم

كمال عبد الباقى لاشين

الجمعة ٥ فبراير ١٩٩٣ م

الموافق ١٤ من شعبان ١٤١٣ هـ

الفصل الأول

الرجاء

واتعبُ خلقِ الله مَنْ زاد همُّه
وقصّر عما تشتهي النفس وجدُه

ديوان المتنبي ٢/٢٢

- ١ -

فى الخبر الذى رواه البديعى : أن المتنبى لما أدبر أمره فى حلب ، وخرج من عند سيف الدولة مغاضبا مال إلى الشام – وكانت أقرب البلاد إليه – وألقى بدمشق عصاه . وفيها لقى ابن ملك – وهو يهودىّ من أهل تدمر ، كان على دمشق من قبل كافور – فالتمس ابن ملك من أبى الطيب أن يمدحه ، فثقل على أبى الطيب مدحه ، وعافته نفسه ، فأحفظ ذلك ابن ملك ، وأغضبه .

ثم علم كافور بنزول أبى الطيب فى دمشق قريبا منه ، فأرسل إلى ابن ملك أن يبعث إليه به ، فأنف من ذلك أبو الطيب ، وقال : « مالى وللعبد ، وإن دخلت إلى مصر فما قصدى إلا ابن سيده » .

ثم نبت دمشق بأبى الطيب ، ولم تطلب له ، فمضى إلى الرملة ونزل بأميرها الحسين بن طغج ، فمدحه ، وحمل إليه . ثم كتب كافور إلى ابن طغج فى أبى الطيب ، كما كتب إلى ابن ملك من قبل ، فأجاب المتنبى هذه المرة ، وصار إلى كافور(١) .

وفى رواية أبى العلاء المعرى فى (معجز أحمد) أن كافورا نفسه هو الذى كاتب المتنبى ، واحتال عليه بالمواعيد ، ليصيره إليه ، فلما وردت على أبى الطيب كتب كافور ومواعيده وهو بالرملة عند ابن طغج سار إليه ، وظن أنه لا يسومه سوم غيره ، ممن كان إذا حصل عنده أخذ ماله ، وأضعف حاله ، ومنعه من التصرف فى نفسه بما يحب(٢) .

ولا أدرى أهذه رواية غير رواية البديعى ، أم أنها هى ، ولكن

---

(١) انظر : الصبح المنبى ١١٠ .
(٢) انظر : معجز أحمد ٤/١٦ .

أبا العلاء تصرف فى متن الخبر - والقدماء قد يفعلون ذلك ، ويتسمحون فيه - ، وجعل مكاتبه كافور لعامليه على الشام والرملة : ابن ملك ، وابن طغج فى أمر المتنبى بمنزلة مكاتبة المتنبى نفسه ؟ . على أن الروايتين تتفقان فى أن كافورا هو الذى طلب المتنبى ، ورغب فيه ، فأنزله مصر ..

وفى رواية أبى العلاء هذه أن كافورا وعد المتنبى قبل نزول مصر ، من غير نص فيها على الذى وعده به ما هو ؟ ، وسيذكر المتنبى بعد ذلك فى شعره أن كافورا قيده بمواعد كاذبة فى قوله :

أبا النتن كم قيدتنى بمواعد
مخافة نظم للفؤاد مروع
وقدرت من فرط الجهالة أننى
أقيم على كذب رصيف مصنع (٣)

ولكن ليس فى هذا الشعر ما يدل صراحة على أن موعدة كافور إياه كانت وهو فى الرملة لم يات مصر ، ولا على أنه وعده بولاية أو ملك .

وأبو الطيب يزعم فى بعض شعره أن نزول مصر كان رأيا له ، واختيارا ، نهى عنه ، وليم فيه ، ولكنه لم يستمع لنهى ناه ، أو لوم لائم يقول :

وما أنا بالباغى على الحب رشوة
ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
وما شئت إلا أن أدل عواذلى
على أن رأيي في هواك صواب

---

(٣) معجز أحمد ٤/٤٤١ .

واعلم قوماً خالفوني فشرّقوا
وغربت أني قد ظفرت وخابوا(٤)

ويقول :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا
إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجيا(٥)

ويقول :

يارجاء العيون في كل أرض
لم يكن غير أن أراك رجائي(٦)

ويقول :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها
بقلب المشوق المستهام المتيم(٧)

ويقول :

ولكن بالفسطاط بحرا أزرته
حياتي ونصحي والهوى والقوافيا(٨)

ومثل هذا في مدائحه لكافور كثير ، ولكنه من كلام الشعر وحديث المدح الذي لا يعول عليه وحده في معرفة حقائق الأنفس ، وما تخفي الصدور . وقد نقضه أبو الطيب بعد ذلك في أهاجيه نقضا كما سترى.

وفي خبر عن أبي الفتح ابن جني قال : كنت أقرأ على أبي الطيب ديوانه فقرأت قوله في مدح كافور :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

---

(٤) الديوان ١/١٩٩ .
(٥) نفسه ٤/٢٨٩ .
(٦) نفسه ١/٣٦ .
(٧) نفسه ٤/١٣٩ .
(٨) نفسه ٤/٢٨٥ .

حتى بلغت قوله :

الا ليت شعرى هل اقول قصيدة
فلا أشتكى فيها ولا أتعتب ؟

وبى ما يذود الشعر عنى اقله
ولكن قلبى يا ابنة القوم قلب

فقلت له : يعز على أن يكون هذا الشعر فى ممدوح غير سيف الدولة ، فقال : حذرناه ، وأنذرناه فما نفع ... وهو الذى أعطانى لكافور بسوء تدبيره ، وقلة تمييزه (٩) ·

فى هذا الخبر والذى قبله ربط بين نزول المتنبى مصر ، وقصده كافورا ، وبين ما آل إليه أمره بآخرة عند سيف الدولة ، وقول المتنبى: « هو الذى أعطانى لكافور » يشير إلى هذا المعنى ، وإن لم يكن فى فى قوله : حذرناه ، وأنذرناه دليل على أنه حذره بترك حلب إلى مصر بالذات ، وأنذره بأن يستبدل به كافورا على وجه التحديد وقد ذهب إلى هذا المعنى بعض الدارسين (١٠) · وليس فى أخبار أبى الطيب ما يدل عليه صراحة ·

فإن قيل : ولماذا فى نزول مصر ، ومدح كافور من إغاظة لسيف الدول ؟ ، فالجواب من وجهين · الأول : أنه يستبدل بسيف بنى حمدان العربى ، الحر ، وارث المجد ، وربيب الملك عبدا ملكا ، ملكته الصدفة ، وأمره إدبار الزمان وحسبك بهذا إغاظة ... الثانى : أن سيف الدولة كان يمد عينيه إلى مصر من قديم ، ولم يكن مثل هذا ليخفى

---

(٩) ترجمة المتنبى من كتاب بغية الطلب لابن العديم نقلا عن : المتنبى لشاكر ٢/٢٩٣ · وانظر الصبح المنبى ٨٨ ·
(١٠) الدكتور طه حسين مع المتنبى ٢٦٤ ·

على أبى الطيب ، وحين اضطربت الأمور ببلاد الشام استولى سيف الدولة على دمشق ، وتقدم إلى الرملة ليغزو مصر ، فرماه الإخشيد بجيش عليه كافور ، فكسر سيف الدولة ، ورده إلى حلب ، ثم إلى الرقة .. ثم عاد فصالحه على أن يعود إليه - أى سيف الدولة - ما كان بيده من بلاد الشام(١١) . فإذا ترك المتنبى سيف الدولة بعد هذا ، فنزل مصر فى غضبة من غضبات نفسه ، واختار كافورا كان فيه من إغاظة سيف الدولة ، وإغضابه ما فيه . وفى خبر المحاجة التى جرت بين المتنبى وأبى عبد الله الحسين بن خالويه أن ابن خالويه وثب فضرب وجه المتنبى بمفتاح كان فى يده فشجه ، فما انتصر له سيف الدولة ، « فغضب فمضى إلى مصر فامتدح كافورا الاخشيدى »(١٢) . وفى هذا كله دليل على أن نزوله مصر له علاقة بما جرى له فى حلب .

وثمت أخبار وأشعار أخرى من أخبار أبى الطيب وأشعاره يفهم منها أن تفكيره فى مصر أقدم من نزوله دمشق والرملة ، ومكاتبة كافور له ، واستقدامه إياه ، وأنه عرض بذكرها وهو فى حلب حين ضاق به جوار سيف الدولة ، ومحنت نفسه محنتها عنده . فقد قال سنة ٣٤١ هـ ، فى الميمية التى وثق فيها محنته فى حلب :

يا من يعز علينا أن نفارقهم
وجداننا كل شىء بعدكم عدم

أرى النوى تقتضينى كل مرحلة
لا تستقل بها الوخادة الرسم

(١١) وفيات الأعيان ٢/٥٤٧ .
(١٢) ترجمة المتنبى لابن عساكر نقلا عن المتنبى لشاكر ٢/٣٢٠ .
وانظره : ٢/٢٩٣ ، والصبح المنبى ٨٦ .

لئن تركن ضميرا عن ميامننا

ليحدثن لمن ودعتهم ندَم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

ألا تفارقهم فالراحلون هم (١٣)

قال أبو البقاء العكبرى فى تفسير البيت الثالث من الأبيات : « إن قصدت مصر ليحدثن لمن ودعتهم ندم »(١٤) . ومن هنا قال الدكتور طه حسين : إن المتنبى عرض بمصر وهو فى حلب ، وإنه لم يعدل عن العراق إلى مصر لأمر يرجع إلى الجغرافيا - أى لمروره إلى العراق بديار سيف الدولة - ولو أراد العراق لأمكنه(١٥) . وقال الأستاذ عبد الوهاب عزام : إنه لما عرض بمصر وهو فى حلب تلبث ريثما يبلغ كافورا ذلك ، فيدعوه ، فيذهب إلى مصر مطلوبا لا طالبا(١٦) .

ومصر نفسها لم تكن غريبة على أبى الطيب ، ولا بعيدة عن رأيه وقلبه ، ففى خبر رواه ابن العديم فى (بغية الطلب) ، - وإن لم يكن من مشهور أخبار المتنبى - أنه نزل بمصر أول مرة سنة ٣٣٥ هـ - وأنه رثى فى ذلك العام الأخشيد : أبا بكر بن طغج ، وعزى ولده بالقصيدة التى أولها :

هو الزمان مشت بالذى جمَعا

فى كل يوم ترى من صرفِه بدَعا

إن شئت مت أسفاً أو فابق مصطبرا

قد حلّ ما كنت تخشاه وقد وقعا

---

(١٣) الديوان ٣/٣٧٠ ، ٣٧٢ .
(١٤) هامش البيت ٣٢ ، الديوان ٣/٣٧٢ .
(١٥) مع المتنبى ٢٦٣ ، ٢٧٤ .
(١٦) ذكرى أبي الطيب ١٠١ .

لـو كان ممتنـع تغنيـه منعتـه
لم يصنع الدهـر بالإخشـيد ما صنعا (١٧)

فإن صح هذا الخبر فهو دليل على أن المتنبى نزل مصر أول مرة قبل أن ينزل حلب بعام ، وقبل أن ينزل مصر نزوله الثانى بنحو عشر سنين . ومن المعلوم أن الإخشيد توفى سنة ٣٣٤ هـ ، وأن كافورا صار الوصى على ولده ، وولى عهده من بعده أنجور ، وأنه كانت له الوصاية فى الظاهر ، والولاية على الحقيقة ، وهـذا يعنى أن المتنبى ربما لقى كافورا أو عرف من أمره حين جاء ليعزى ولد الإخشيد ، وربما أدرك كافور نفسه يومها قيمة أن يعضد ملكه الذى يسعى فى تعضيده بشـاعر مثل أبى الطيب ، وأنه لهذا كتب إليه بعد ذلك يستقدمه .

وقد حدث أبو الطيب عن نفسه بأنـه دار الشـام كله : سـهله وجبله (١٨) . ومصر والشام كثيرا ما كانتا تجتمعان يومئذ فى ولاية وال واحد ثم تفترقان ، ثم تجتمعان ، وهكذا . وهذا مما يستدل بـه على أن مصر لم تكن بعيدة عن رأس أبى الطيب ، وقلبه وهو يدور فى بلاد الشام سهله وجبله .

وحاصل ما تقدم كله أنا إذا وضعنا مجىء المتنبى إلى مصر فى سياقه من تاريخ حياته ونفسه وجدناه من جملة أسرار نفس الرجل ، ومن مشكل أمره ، لا يكاد يوقف له على سبب واحد لا يدخل معه غيره. وقد يكون فيما يأتى من البحث ما يقوى القول بأن خياره فى نزول مصر كان (خيارا نفسيا) تأتى أسبابه من داخـل نفسه قبل أن تكون من

---

(١٧) ترجمة المتنبى لابن العديم نقلا عن المتنبى لشاكر ٢/٢٤٩،٢٩٤ .
وانظر معجز أحمد ٤/٤٤٠ .
(١٨) من بغية الطلب نقلا عن المتنبى لشاكر ٢/٢٥٦ .

خارجها ، وأنه كان خطة ركبها فى موقف من مواقف ثورة النفس ، وحالة من حالات زلزلتها . وسوف يقول هو نفسه بعد ذلك إنها كانت عثرة من عثرات حياته ، وخطة خسف ، ورأيا فائلا : وذلك فى قوله :

عثرت بسيرى نحو مصر فلا لعا
بها ولعا بالسير عنها ولا عثرا
وفارقت خير الناس قاصد شرهم
وأكرمهم طرا لألأمهم طرا
فعاقبنى المخصّى بالغدر جازيا
لأن رحيلى كان عن حلب غدْرا
وما كنت إلاّ فائل الرأى لم أعَنْ
بحزْم ولا استصحبت فى وجهتى حجْرا(١٩)

- ٢ -

والآن ننظر فى ما أورد المتنبى مصر ، وفى حاجة نفسه حين سيق إليها . لم يكن (المال) مطلبه فى مصر ، ولا أول رجائه عند كافور. كان فى خمول ، وفقر ، وسوء حال ، يتذأب فى بلاد الشام بعد سجنه وقبل اتصاله بأبى العشائر(٢٠) ، ويحث راحلتيه : الفقر والأدب كما قال فى قصيدة مدح بها المغيث بن على بن بشر العجلى :

فسرت نحوك لا ألوى على أحد
أحث راحلتىّ : الفقر والأدبا(٢١)

ولكنه منذ لقى بنى حمدان ، ثم قر قراره الطويل عند سيف الدولة ترك الفقر خلف ظهره وبلا يديه من الدنيا . وفى خبر يرجع إلى خصمه

---

(١٩) معجز أحمد ٤٤٣/٤ . لعاً : كلمة يدعى بها للعاثر ومعناها : الارتفاع ، والحجر بكسر فسكون : العقل . اللسان (لعا) و (حجر) .
(٢٠) انظر : الصبح المنبى ٦٨ .
(٢١) الديوان ١٢٠/١ .

ابى فراس الحمدانى أن سيف الدولة كان يعطى أبا الطيب ثلاثة آلاف دينار فى العام عن ثلاث قصائد يقولها فيه بل قيل : إن مجموع ما ناله من عطايا سيف الدولة فى أربع سنين خمسة وثلاثون الف دينار(٢٢) ·

فإن صح هذا فهو دليل على ان المتنبى كان قد جمع مالا وعدده يوم ترك حلب ·

ويدل على ان المال لم يكن مقصده الأول يوم نزل بمصر أنه تردد اول الامر فى القدوم على كافور وعنده الغنى حتى طلبه وألح فى طلبه ، وانه ترفع عن مدح أبى الحسن بن الفرات المعروف بابن حنزابة وزير كافور ، مع شدة رغبته فى مدح المتنبى له(٢٣) : ومع ما فى مدحه من جزيل العطاء · لو كان يريد العطاء ·

وقد نال ابو الطيب المال فى مصر من أول يوم ، فقد أمر له كافور يوم نزل بمنزل ، وخلع عليه الخلع(٢٤) وذكر هو بعد هذا فى مدائحه لكافور أنه نال من عسجده ، وماله ، وأنه عاش فى بحر من عطاياه من ذلك قوله :

أنا اليوم من غلمانه فى عشيرة
لنا والد منه يفديه ولده
فمن ماله مال الكبير ونفسه
ومن ماله دَرّ الصغير ومهده !!(٢٥)

---

(٢٢) ترجمة المتنبى لابن عساكر عن المتنبى لشاكر ٣٢٤/٢ · وذكرى أبى الطيب ٨٨ ·

(٢٣) انظر : معجم الادباء ١٦٣/٧ ·

(٢٤) الصبح المنبى ١١١ ·

(٢٥) الديوان ٣٤/٢ ·

وقوله :

وإنى لفى بحر من الخير أصله
عطاياك أرجو مدّها وهى مدّه

وما رغبتى فى عسجد أستفيده
ولكنها فى مفخر أستجدّه

يجود به من يفضح الجود جوده
ويحمده من يفضح الحمد حمده(٢٦)

ومثل هذا المعنى مكرر فى مدائحه .. ومع هذا ظل أبو الطيب يشكو شكوى لا تنقطع ، ويرجو رجاء لا يمل ، لأنه كان كما سنرى يريد شيئاً أكثر من المال ، وأمراً فوق الغنى .

وأبو الطيب مرمى فى بعض أخباره بأنه ملحاح فى طلب المال جماع له ، وبخيل به شحيح إذا حصل فى يديه(٢٧) ، وهى أخبار أكثرها مرده إلى أعدائه وحاسديه . ولكن هذا لا ينفى أنه كان له تدبير فى المال ، وفلسفة فى طلبه لعلها خفيت على من رماه بالمسألة ووصمه بالشح .

كان أبو الطيب يرى فيما يرى حوله أن المال سبيل القوة ، وأن القوة سبيل المجد ، وهو باحث طول دهره عن المجد ، فليس له إذن غنى عن قوة المال .

وقد عبر عن هذا الرأى والتدبير فى قوله :

وأتعب خلق الله من زاد همه
وقصّر عما تشتهى النفس وجده

(٢٦) الديوان ٣/٢ .
(٢٧) انظر : الصبح المنبى ٩٥ .

فلا ينحل فى المجد مالك كله
فينحل مجد كان بالمال عقده

ودبره تدبير الذى المجد كفه
إذا حارب الأعداء والمال زنده

فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه
ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلبا بين جنبىّ ماله
مدى ينتهى بى فى مراد أحده(٢٨)

فابو الطيب عرف قوة المال منذ عقل الحياة حوله ، وبحث عن اسباب القوة فى عصره ، ولم يكن يوما اعرف بهذا منه يوم نزل مصر لانه لم يرد القوة كما أرادها يومئذ .. وهذا هو أصل تدبيره فى طلب المال .. اما المال لذات المال فلم يكن ابدا رجاءه الأول يوم نزل مصر ، وسترى أن محنته فى مصر تتمثل فى أن كافورا كان لا يرى له إلا ما للشاعر المادح ، وكان هو يرى لنفسه ، ويريد لها ما لم تجر العادة بان يعطى لشاعر مادح ، وهو الملك والولاية .

- ٣ -

كانت (الولاية) حاجة نفس المتنبى الأولى فى مصر ، ورجاءه الاعظم عند كافور ، طلبها فى أول شعر لقى به كافورا فى جمادى الثانية سنة ٣٤٦ هـ فقال :

إذا كسب الناس المَعالى بالندى
فإنك تعطى فى نداك المعاليا

(٢٨) الديوان ٢/٢٢ ، ٢٣ .

وغير كثير أن يزورك راجل
فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذى جاء غازيا
لسائلك الفرد الذى جاء عافيا (٢٩)

ثم عاد فطلبها فى مدحته الثانية التى قالها بعد نحو شهر من الأولى فقال :

يا رجاء العيون فى كل أرض
لم يكن غير أن أراك رجائى
ولقد أفنت المفاوز خيلى
قبل أن نلتقى وزادى ومائى
فارم بى ما أردت منى فإنى
أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا
ن لسانى يرى من الشعراء (٣٠)

ثم عرض بطلبها فى قصيدة قالها بعد نحو خمسة أشهر من نزوله مصر فقال :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم
إلى غيوث يديه والشآبيب
إلى الذى تهب الدولات راحته
ولا يمن على آثار موهوب (٣١)

وعرض أيضا بطلبها فى قصيدة قالها فى ذى الحجة من هذا العام فقال :

---

(٢٩) الديوان ٢٩٠/٤ . وانظر : معجز أحمد ٢٧/٤ .
(٣٠) الديوان ٣٥/١ ، ٣٦ .
(٣١) الديوان ١٧٣/١ .

فإن نلت ما أملت منك فربما
شربت بماء يعجز الطير ورده

ووعدك فعل قبل وعد لأنه
نظير فعال الصادق القول وعده

فكن فى اصطناعى محسنا كمجرب
يبن لك تقريب الجواد وشده

إذا كنت فى شك من السيف فابله
فإما تنفيه وإما تعده

وما الصارم الهندى إلا كغيره
إذا لم يفارقه النجاد وغمده

وإنك للمشكور فى كل حالة
ولو لم يكن إلا البشاشة رفده

ثم يقول فيها :

وإنى لفى بحر من الخير أصله
عطاياك أرجو مدها وهى مده

وما رغبتى فى عسجد استفيده
ولكنها فى مفخر استجده(٣٢)

هذا ما قاله أبو الطيب من الشعر الذى طلب فيه الولاية والملك فى عامه الأول فى مصر (سنة ٣٤٦ هـ) . وفى تأمل هذه المقطوعات الأربع أمور ذات دلالة على حالة نفسه يومئذ ، فقد ابتدأ فطالب كافورا بولاية لا بمال على ما جرت به عادة الشعراء المادحين ، وكان جسورا فى الطلب واثقا حين عرض بملك العراقين (فيرجع ملكا للعراقين

---

(٣٢) الديوان ٢٨/٢ ، ٢٩ . وفسر أبو العلاء (المفخر) هنا بأنه الولاية راجع : معجز أحمد ٧١/٤ .

واليـا) وفسر العراقان بانهمـا : البصرة والكوفـة(٣٣) ، أو عراق العرب ، وعراق العجم ، وآخره أعمال الرى(٣٤) ، وثانى التفسيرين أشبه بمذهب أبى الطيب ، ونفسه .

ولماذا العراقان دون غيرهما من البلاد ؟ . ربما كان لهذا عـلاقة بمحنة أبى الطيب فى الكوفة ، أو بمحنته فى حلب . وكأنى بأبى الطيب حين قال هذا كان فى حالة حلم من أحلام اليقظة ، فقد خـدع نفسـه أو خدعتـه ، فـرأى نفسـه ملـكا على العراقـين ، لـه ملك يضـم الكوفة التى بدأت فيها أولى فصول محنته النفسية ، ويفوق ملك حلب التى فارقها مطرودا مدحورا ، فيطوى بذلك صفحة الشاعر الذى يمـد يده ويريق ماء وجهه ، ليفتح صفحة الملك المقتدر الذى يصرف سيفه فى الرقاب ليبلغ ما يريد . ولولا ما كان فيه المتنبى من الحلم ، وخـداع النفس الـدال على خبئها لما جاء فى المدح بمثل هـذا المعـنى العجيب وهو : أن يعرض شاعر مادح لممدوح يلقاه أول مرة بملك العراقين .

وقد يقال هنا إن هذا المعنى من معانى المدح لا من معانى النفس. فأبو الطيب إنما قصد إلى المبالغة فى كرم الممدوح على عادة الشعراء، فانتهى به توليد المعنى إلى هذا القول البديع ، والغور البعيد ، وجعل كافورا يمنح ملك العراقين لمن جاءه راكبا رجليه ويهب الجيش الظافر للسائل الفقير الذى ترده اللقمة .

وقد وجدت المتنبى ذكر هذا المعنى نفسه من قبل فى مدح سيف الدولة فقال :

---

(٣٣) انظر : معجز أحمد ٢٧/٤ .
(٣٤) الديوان ٢٩٠/٤ هامش البيت ٣١ .

فتى يهب الإقليم بالمال والقرى
ومن فيه من فرسانه وكرامه

ويجعل ما خولته من نواله
جزاء لما خولته من كلامه(٣٥)

بل وجدته يذكر هذا المعنى فى مدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابى المنبجى ، - وهو مما قاله فى صباه - فيقول :

أرجو نداك ولا أخشى المطال به
يا من إذا وهب الدنيا فقد بخلا(٣٦)

وهو معنى قالت فيه الشعراء(٣٧) . وكثيرا ما يصعب التفريق بين معانى الشعر ومعانى النفس ، ولكنى أرى هذا المعنى - فى موقعه من قصيدة المتنبى التى هو منها ، وفى سياقه من تاريخ نفسه وطموحه - من معانى النفس قبل أن يكون من معانى المدح ، ومعانى الشعر هى فى الأكثر صورة معانى النفس وترجماتها .

ومن الطريف أن أبا الطيب جعل ملك العراقين عطية كافور لمن جاءه راجلا ، وأبو الطيب جاءه يومئذ راكبا فى خيل وفرسان كما قال فى تلك القصيدة :

ولكن بالفسطاط بحرا أزرته
حياتى ونصحى والهوى والقوافيا

وجردا مددنا بين آذانها القنا
فبتن خفافا يتبعن العواليا

---

(٣٥) الديوان ٣/٤ .
(٣٦) الديوان ١٧٢/٣ .
(٣٧) راجع المنصف لابن وكيع ١٢٤ .

تماشى بأيد كلما وافت الصفا
نقش به صدر البزاة حوافيا
وينظرن من سود صوادق فى الدجى
يرين بعيدات الشخوص كما هيا
وتنصب للجرس الخفى سوامعاً
يخلن مناجاة الضمير تناديا
تجاذب فرسان الصباح أعنه
كان على الأعناق منها أفاعيا
بعزم يسير الجسم فى السرج راكبا
به ويسير القلب فى الجسم ماشيا (٣٨)

فإذا كان ملك العراقين حق من جاءه راجلا فما حق من جاءه على هذه الصورة ؟! .

وذكر أن أبا الطيب لما أنشد كافورا يائيته الأولى التى مطلعها :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

حلف ليبلغنه ما فى نفسه (٣٩) ، وكان هذا هو الذى حمله على التصريح بطلب الولاية ، وترك التعريض فى الهمزية التالية فقال :

فارم بى ما أردت منى فإنى
أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا
ن لسانى يرى من الشعراء

---

(٣٨) الديوان ٢٨٥/٤ ، ٢٨٦ .
(٣٩) انظر : معجز أحمد ٤١/٤ ، والصبح المنبى ١١١ .

وقوله (ما أردت منى) فى سياقه من الكلام ينصرف إلى الولاية، وقد فسره بهذا بعض شراح شعره(٤٠) ، ومما يدل على هذا قوله بعده : (فإنى أسد القلب آدمى الرواء) وقوله (وفؤادى من الملوك) .

وابو الطيب يقول هنا : (ما أردت منى) ، ولم يقل : ما أردت منك ، او املت فيك . ولهذا القول وجهان : أن يكون معناه ما كنت اردت منى قبل ، ووعدتنى به سلفا فيقوى هذا قول من يقول : إن المتنبى نزل مصر عن موعدة وعده بها كافور . أو يكون معناه أن المتنبى صدق كافورا فى قوله له بعد لقائهما الأول : لأبلغنك ما فى نفسك ، وتوهم أنه عرف ما فى نفسه وعزم على أن يوليه فقال: ما أردت منى .. وقد يكون الكلام لا هذا ولا ذاك ولكن حثا وتحضيضا لكافور لكى يوليه .. ويكون ذلك تلطفا منه فى الطلب ، واحتيالا فى بلوغ الأمل ، حين جعل الإرادة من كافور ، وإن كان هو المريد على الحقيقة .

وقول المتنبى :

وفؤادى من الملوك وإن كا ... ن لسانى يرى من الشعراء

عقيدة من عقائده ، توشك أن تكون مفتاح نفسه وشعره ، وهذا البيت يحمل رسالة طالما جاهد أبو الطيب فى أن يبلغها ممدوحيه ، فرأوا منه ما أرادوا هم ، ولم يروا منه ما أراد هو أن يريهم من نفسه. على هذا لقى من لقى من ممدوحيه ، وفارق من فارق ، ومن هنا كانت محنة نفسه : كان يرى أنه يحمل نفسه ملك وهمته ، ولسان شاعر

---

(٤٠) انظر : معجز أحمد ٤/٤٠ .

وقلبه(٤١) . وكان يريد ان يرى منه الملك كما يرى الشاعر ، وكان الممدوحون جميعا لا يبصرون منه إلا الشاعر المادح ، ولا يرونه أهلا لغير الصلات والعطايا . ومن هنا كانت ثورته على من لقى من ملوك الأرض، وتوعده لهم ، وفراقه إياهم .

ولما لم ير فيه كافور غير الشاعر المادح ، ولم ينله غير العطايا عاد أبو الطيب بعد خمسة أشهر من الرجاء ، والانتظار يعرض له بالولاية، ويحتال له حيلة حين يوازنه بسيف الدولة ثم يرفعه فوقه !! ، ويقول : إن سيف الدولة غيث ، وكافورا غيوث ، وإن سيف الدولة يعطى ثم يمن، ولكن كافورا يهب الدولات ولا يمن !! :

... إلى الذى تهب الدولات راحته
ولا يمن على آثار موهوب

قال أبو العلاء : فى هذا البيت تعريضان : تعريض لكافور بان يوليه ولاية ، وتعريض بسيف الدولة بانه كان يمن بما يعطى(٤٢) .

والمتنبى يتصعد كما ترى فى الرجاء ، وفى خداع النفس فقد جعل كافورا فى القصيدةالأولى يهب ملك العراقين ،ويعطى الجيش الظافر ، وهو يجعله هنا يهب الدولات ، لا دولة واحدة .. وهذا إن حمل على الجد كان من غرائب الطموح والطمع ، وخداع النفس .

وبعد نحو سبعة أشهر من إخلاف الرجاء بقى أبو الطيب متعلقا برجائه ، وإن تغيرت لهجته . فقال أبياته الدالية التى نقلناها آنفا وكانت آخر ما قاله فى عامه الأول فى مصر . وهذه الأبيات مزيج من الشك فى بلوغ الرجاء ، والضجر من طول الانتظار فهو يقول له :

---

(٤١) وراجع : فن المتنبى بعد الف عام ١٧٠/١٧١ .
(٤٢) انظر : معجز أحمد ٥٣/٤ .

« فإن نلت ما أملت منك » فيصدر الكلام بإن الشاكة ، ويعود إلى نفسه فيعترف بأن (طلب الولاية) أمله هو ، لا إرادة كافور ، وإن عاد يستنجز كافوراً وعده ..

وقد خضع أبو الطيب فى هذه الأبيات خضوعاً ظاهراً كما ترى، ونزل من نفسه عن بعض ما لم يكن ينزل عنه وكاد يستجدى الولاية ، أو هو استجداها .. ترى هذا فى قوله :

(فكن فى اصطناعى محسناً كمجرّب)

وقوله :

إذا كنت فى شك من السيف فابله
فإما تنفيه وإما تعده

وقوله :

وإنك للمشكور فى كل حالة
ولو لم يكن إلاّ البشاشة رفده

وهذا البيت الأخير - مع ما فيه من الخضوع - من مقدمات يأسه..

ولعلك ترى أن المتنبى فى هذه الأبيات يبدو كمن يتبرج لكافور (تبرج الأنثى تصدت للذكر) ويريه من نفسه ما لا يراه كافور ، أو هو يراه ولا يجيبه إليه . وإنه ليبلغ فى هذا المبلغ البعيد حين يقول لكافور :

ألا ليت يوم السير يخبر حرّه
فتسأله والليل يخبر برده
وليتك ترعانى وحيران معرض
فتعلم إنى من حسامك حدّه

وانى إذا باشـــرت أمراً اريـــــده
تدانت أقاصيه ، وهـــان اشــدُه(٤٣)

وأبو الطيب مع تضعضع نفسه فى هذه الأبيات لقوة الطمع والرجاء يعود فيستقوى فى آخرها حين قال : « إذا باشـرت أمراً أريـدُه .. » وهذا هو عود مذهب أبى الطيب ، والأشبه بأصول نفسه ، ولكنهـا هنا بئس رسول المحتـاج ، والأولى بحـال الطالب الراجى أن يقول : « أمراً تريدُه » وقد قال قبل فى الهمزية : « ما أردت منى » . ولا نعلم إن كان قال هذا ابتداء ، أو أنه قال : « أمراً تريده » ثم غير الرواية، أو غيرت بعده . وهذه الاشارات لم تكن لتخـفى على كافور – وكان موصوفا بالفطنة – وما كان أعداء المتنبى ليدعوها له .

* * *

كان رجاء المتنبى فى عامـه الأول فى مصر (٣٤٦ هـ) – فى الأغلب – رجاء جسورا مدفوعا بأمل صادق أو كاذب ، ولكنـه صـار فى عامـه الثـانى (٣٤٧ هـ) رجـاء حييا مهموسـا فى يأس صرف أو ممزوج بكاذب الأمل : ففى الميمية التى قالها فى ربيع الثانى سـنة ٣٤٧ هـ ، عاد يطالبه ، ويستنجزه وعده ولكن بكلام غير الكلام الأول، ومن نفس ليست كالنفس الأولى ، يقول له :

أبا المسك أرجو منك نصـراً على العدا
وآمــل عـــزاً يخضب البيض بالـدم
ويوماً يغيـظ الحاســـدين وحـالة
أقيـم الشـقا فيهـا مقـام التنعم

(٤٣) الديوان ٣/٢٦-٢٧٤

ولم ارْج إلاّ اهـل ذاك ومـن يـرد
مواطـر مـن غـير السـحائب يظلم
فلو لم تكن فى مصـر ما سرت نحوها
بقلب المشـوق المسـتهام المتيـّم
ولو كنت ادرى كـم حيـاتى قسمتها
وصـيّرت ثلثيهـا انتظـارك فاعلم
ولكـن ما يمضـى مـن العمـر فائت
فجـدْ لى بخـظ البـادر المتغنـّم
رضـيت بما ترضـى بـه لى محبـّة
وقـدت إليـك النفس قـود المسلـّم
ومثلك مـن كان الوسـيـّط فـؤاده
فكلمـة عـنى ولـم اتكـلـّم(٤٤)

فهذا الشعر وما بعده ابتداء مرحلة فى رجاء أبى الطيب تخالف ما قبلها ، فليس هنا ذكر وَهْب ِملك العراقين ، والجيش الظـافر ، ولا وهب الدولات .. بل هو يطلب نصرا على العدا ، ويوما يغيظ الحاسدين ، وحالة يشقى بها أعداؤه بعد تنعم . وهو فى هـذا يطلب أيضا الولايـة ولكن بكلام غـير الكلام الأول ، وبحالة نفسـيه تخالف الحالة الأولى .

وفى هذه الأبيات المعنى الذى وجدناه فى الأبيات قبلها ، وهو التخشع فى الطلب ، والخضوع عند الرجاء ، وسوم نفسه ما ليس فى طبعها .. ترى هذا فى قوله : « أرجو منك نصرا على العدا » وقوله : « ولم أرج إلا أهل ذاك » وقـوله : « فلو لم تكـن فى مصر ما سـرت نحوها ... » وقوله : « ولو كنت أدرى كم حياتى قسمتها ... » وقوله:

(٤٤) الديوان ٤/١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ .

« فجد لى بحظ البادر المتغنم » وقوله : « رضيت بما ترضى به لى محبة .. » وقوله : « وقدت إليك النفس قود المسلم » وقوله : « ... فكلمه عنى ولم اتكلم » ومن وقف على حقيقة رأى أبى الطيب فى نفسه قبل مصر ، وما كان يدعيه لها من العزة والترفع ثم تأمل معانى هذه الأبيات عرف ما فيها من الدلالة على حالة من حالات الطمع المذل ، والرجاء اليائس . وآخر الأبيات يدل على حالة نفسية غير التى يدل عليها أولها ..

وأبو الطيب يذكر هنا الأعداء والحاسدين ، وهو يذكرهم أكثر ما يذكرهم فى حالات ثورة نفسه وشقائها .. ويأسها ، ومن الملاحظ أنه لم يذكرهم قبل هذا حين كان الأمل أقرب إلى نفسه .. وكأنه بنى آماله فى إغاظة أعدائه ، وكبت حسّاده فى حلب وغيرها على إدراك ولاية من كافور يبلغ بها ما سعى إليه من المجد ، فلما بدا الحرمان أقرب إليه ، واليأس أغلب عليه تجسّد أعداؤه وحسّاده له ، يخرجون له ألسنة الشماتة فطلب كبتهم ، والنصر عليهم ... والمتنبى قوى الاحساس جدًا بما له من أعداء وحاسدين ، وربما أخرجهم الوهم له اخراجا . ولعل سيف الدولة كان من جملة مقصودية لأنه يقول لكافور فى هذه القصيدة :

قد اخترتك الأملاك فاخترلهم بنا
حديثا وقد حكمت رأيك فاحكم(٤٥)

وفى هذه القصيدة معنى من المعانى النفسية التى قويت فى شعر المتنبى بعد هذا ، وأسلوب من أساليبه الحاملة لمعانى نفسه ، الواشية بخفاياها . وذلك فى قوله :

---

(١٤٥) الديوان : ٤/١٤٠ .

ولم أرج إلاّ أهل ذاك ومن يُرد
مواطر من غير السحائب يظلم

فقوله : « ولم أرج إلاّ أهل ذاك » كلام من كلام اللسان ، وصنعته من صنعة البيان ثم إنه التفت بعده التفاتا نفسيا ذكيا فقال : « ومن يرد مواطر من غير السحائب يظلم » وفى هذا الالتفات دمغ نفسه بأنهـا ركبت الخطة الخاسرة ، وأتت الأمر من غير بابه ، واستمطرت السحائب العقم .. وهذا من شعره الذى تنازعت فيه النفس واللسان .. وسيكثر فى شعره بعد هذا .

ومما يجب معرفته هنـا أن نفس المتنبى جاشت جَيْشها ، واشتكت شكواها فى هذه القصيدة والتى قَبلُها والتى بعدها مع اتصـال عطاء كافور ، وهداياه .. وهذا من الأدلة على ما تقـدم من أن المـال لم يكن حاجة نفس المتنبى فى مصر ، وإنما الملك والولاية .

ومرّت على أبى الطيب أيامه ثقيلة ، ولياليه طويلة ، حتى كان شوال سـنة ٣٤٧هـ فعاد يطلب الضيعة أو الولاية من كافور بلفظ صريح ، تاركا التعريض ، ولطف الطلب ، بعد ما مطله كافور ، وداوره ، وتركه بين الرجاء واليأس مشدوداً على مثل ظهر الأفعى .. فقال لكافور : جئت اطـلب ملـكا لا مـالا ، فـإن ملكتنى فـذلك ما أردت ، وإلاّ فمـا أعطيت شيئاً وإن كثرت عطاياك :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أنا له
فإنى أغنى منـذ حـين وتشرب

وهبت على مقدار كفى زماننا
ونفسى على مقدار كفيك تطلبُ

إذا لم تنط بى ضـــيعة أو ولاية
فجودك يكسونى وشغلك يسلب(٤٦)

وهذا رجاء قانط ، وسؤال يائس ، وحديث بائس محروم مع أنه قال هذه القصيدة بعد أن حمل إليه كافور ستمائة دينار .. وهذه الصورة التى استعارها المتنبى لكافور ولنفسه ـ أعنى صورة الشارب الريان ، والمغنى الظمآن من الصور النفسـية الفـذة التى لا يكاد الكلام يبـلغ أغـــوارها ، وهى تكشف المـــورد الـــذى أورد المتنبى رجاؤه فى مصر ، وعند كافور .

* * *

وفى منتصف عامه الثالث فى مصر (سنة ٣٤٨هـ) خلع أبو الطيب ثوب الأمل الكاذب ، والرجـاء الخلق ، وذلك فى القصيدة التى قالها فى ذكر خروج شـبيب العقيلى على كافور ، ولـم يقلهـا حتى طلبها كافور . وفيها انتصرت نفسه على لسانه ، ووجدانه على صنعة بيانه ، ولم يطلب فيها ولاية تصريحاً أو تعريضا كما كان يطلب ، وإنما قال :

اراد لى جميلا جد او لم تجديه
فـــإنك مـــا احببت فىّ اتانى
لـــو الفـلك الدوار ابغضت سـعيه
لعــــــوقه شىء عن الدوران(٤٧)

وهذا كلام نفس جديدة ، وبداية مرحـلة من تاريخ نفس أبى الطيب فى مصر .

هذا هو تاريخ رجـــاء أبى الطيب فى مصر ، وطلبـــه الولايـــة من كافور كما دلّ عليه شعره ، وقد طلب فيه ولاية عامة ، ولم يحـــدد

---

(٤٦) الديوان : ١/٨٦ .
(٤٧) الديوان : ٤/٢٤٧ .

شيئاً من البقاع إلا ما كان من ذكر العراقين ، وبعض أخباره تدل على أنه طلب ولاية صيدا(٤٨) من بلاد الساحل ، أو ناحية من بلاد صعيد مصر(٤٩) .

وهذا الذى دلّ عليه شعر المتنبى دلالة ظاهرة من طلب الولاية من كافور هو ما قال به كثير من مؤرخى حياته وشعره قديما وحديثا(٥٠) ، فيكون من الخطأ الجلى بعد هذا ما ذكره الدكتور منجى الكعبى : من أن ما قيل عن طلب المتنبى الولاية من كافور هو من الأوهام والأغاليط ، وأنه دسيسة دُسّت اعتماداً على بيت واحد يوهم ظاهره طلب الولاية ، ولم تكن هنـاك بالمـرة فى رأس المتنبى فكرة اقتضـاء ولاية ، أو ضيعة من كافور(٥١) .

- ٤ -

ولم يكن طلب المتنبى الولاية من كافور أمراً عرض له فى مصر ، إلاّ يكن طلبُ الملك فهو من مقدماته وأسبابه . قال فى شعر صباه :

ومن يبغ ما أبغى من (المجد والعلا)

تساوى المحـايا عنـده والمقـاتل(٥٢)

---

(٤٨) ترجمة المتنبى لابن عساكر نقلا عن المتنبى لشاكر : ٣٢٥/٢ .
(٤٩) السابق والصحيفة . وانظر الخزانة : ٣٥١/٢ .
(٥٠) من القدماء : الثعالبى : اليتيمة : ١١٣/١ ، وابن زيد التكريتى الشاعر . الصبح المنبى : ٩٥ وابن عساكر . المتنبى لشاكر : ٣٢٥/٢ ، والمقريزى فيه أيضا : ٣٥١/٢ ، والبديعى فى الصبح المنبى : ١١٢ وغيرهم ومن المحدثين : العقـاد : مطالعات فى الكتب : ٢٠٨ ومحمود شاكر : المتنبى : ٢٥٧/١ والنعمان القاضى : كافوريات أبى الطيب : ١٦٢ وغيرهم .
(٥١) انظر المتنبى مالىء الدنيا وشاغل الناس : ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .
(٥٢) الديوان : ١٧٧/٣ .

وقال لمعاذ اللاذقى حين لامه على ركوب المخاطر :

ذكرتَ (جســيم مطـّلـبى) وأنا
نخـاطر فيـــه بالمهج الجسـام(٥٣)

وفى المرحلة التى توسطت فراقه التنوخيين ، ونزوله ببدر بن عمار قال من شعر فى وصف كلب أرسله ابو على الأوراجىّ على ظبى :

إذا بقيـتَ ســالماً ابــا عــلى
(فالملك لله العزيز ثم لى)(٥٤)

وقد قيل : إنه ارتجل هذه القصيدة ، ومرتجل الشعر أول على ما تأصل فى نفس المرء ، وانعقدت عليه . والقصيدة فى ثمانية وعشرين بيتا فلعله أعدها سلفا ، أو ارتجل بعضها منها ، ثم زاد فيها .

وفى قصيدة ذكر فيها تصعلكه فى الصــحراء بعد رحيله عن على ابن احمد المرى زعــم أن له حاجة لم يبلغ منها شيئا مــع شـدة الطلب :

فقل فى (حاجة) لم أقض منها
على شغفى بها شروَى نقير(٥٥)

وهذا البيت وارد فى ســياق غناء نفس حزين قال فيه المتنبى إنه طالمــا عرض للرماح نحره ، ونصب للهواجر وجهه ، وشق رداء الليــل وحده ، وإنه منىّ بقـلة الناصر ، وحسد الحاسد ، وعداوة الدهـر حتى كل شىء فيـــه عدوه ، وإنه محسود على كل شىء حتى على حياته ، ومستكثر عليل كل أمر حتى سروره .

وفى قصيدة تالية لهذه مدح فيها القاضى أبا عبيد الله محمد بن عبيد الله الانطاكى ، سمى ما عقد قلبه عليه (حالا) يرجيها وتخلفه فقال :

---

(٥٣) الديوان : ٤٥/٤ .
(٥٤) نفســه : ٢٠٨/٣ .
(٥٥) نفسـه : ١٤٢/٢ .

ه (حـــال) ارجيُهــا وتخلفنى

واقتضى كونهــا دهرى ويمطلنى(٥٦)

وسماه فى مرثية جدته - وهى من أقوى شعره النفسى - (حَظّا)

فقـــال :

طلبت لها (حَظّا) ففاتت وفاتنى

وقد رضيت بى لو رضيت بها قَسْما(٥٧)

ويبعدُ تفسير الحظ هنا بالرزق والغنى لأنه قال بعد هذا البيت :

يقولــون لى : ما انت فى كل بلـدة

وما تبتغى ؟ ما ابتغى جلّ أن يسمى(٥٨)

فليس طلب المـــال والبحث عن الرزق مما يسأل عنه فى كل بلدة ،

ويجل عن أن يسمَى .

وقال فى مِدْحة لأحمد بن عمران :

و (مطـــالب فيهـــا الهـــلاك) اتيتها

ثبتَ الجنـــان كأننى لم آتهـــــــا(٥٩)

وفى قصيدة مدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمى قال :

ساطلب (حقىَّ) بالقنـــا ومشـــــــايخ

كأنهم من طـــول ما التثموا مرد(٦٠)

كل هذا قاله قبل لقائه أبا العشائر الحمدانى . وقال لأبى العشائر

حين لقيــــه :

---

(٥٦) الديوان : ٢١٣/٤ .
(٥٧) نفسه : ١٠٥/٤ .
(٥٨) نفسه : ١٠٧/٤ .
(٥٩) نفســه : ٢٨٨/١ .
(٦٠) نفســه : ٣٧٣/١ .

فسرت إليك فى طلب (المعالى)
وسار سواى فى طلب المعاش(٦١)

وقال فى إحدى مدائحه لسيف الدولة :

أهم (بشىء) والليالى كأنها
تطاردنى عن كونه وأطارد(٦٢)

وقال له فى أخرى :

ولست أبالى بعد إدراكى (العلا)
أكان تراثا ما تناولت أم كسبا(٦٣)

فأبو الطيب يذكر فى ما سلف من الشعر (المجد والعلا) ، و (جسيم مطلبه) ، و (حاجته) التى شغف بها ، و (حالة) يرجيها وتخلفه ، و (حظا) طلبه لنفسه ولجدثته ففاته وفاتته ، و (مطالب) فيها الهلاك و (حقا) يطلبه بالقنا والمشايخ .. ، و (معالى) سار فى طلبها وشغل غيره عنها بطلب المعاش ، و (شيئا) يطارد الليالى عن كونه ، وتطارده و (العلا) الذى يجد فى طلبه ، ولا يبالى إذا أدركه أجاءه عن تراث أم كسب . وهذا كله ينحل إلى معنى واحد هو جماع رجاء أبى الطيب ، وهو المجد والعلا . ومن الواضح أنه لم يصرح فى هذا الشعر بطلب الولاية أو الضيعة كما طلبهما فى مصر من كافور ، ولكن شعره كله فى هذا الباب يرجع إلى أصل واحد هو الولاية والملك لأنهما السبيل إلى ما أراد من المجد والعلا . وبهذا يصدق قول الثعالبى فيه . إنه منذ لبس ثوب صباه ، إلى أن أخلق برد شبابه ، وتوالت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة فى رأسه ، ويذكر

---

(٦١) الديوان : ٢/٢١٦ .
(٦٢) نفسه : ١/٢٧٠ .
(٦٣) نفسه : ١/٦٠ .

ما يذكر من الخروج على السلطان ، وركوب السيف ، والاستظهار بالفرسان والشجعان ، ويستكثر من هذا (٦٤) .

ومن الأدلة على أنه ظل طوال عمره يطلب المجد ، ويسعى إلى الملك، - وإن اختلفت أساليبه فى التعبير عنه ، وتعددت حيله للظفر به - أن (العلا) الذى ذكر فى شعر صباه أنه يبغيه ، ويستقتل دونه ظل حاجة نفسه فى آخر شعر نظمه فى مصر فقال :

لولا (العلا) لم تجبْ بى ما أجوب بها
وجناء حرف ، ولا جرداء قيدود (٦٥)

- ٥ -

قيل فى وصف أبى الطيب إنه طلب الولاية غلاباً فى أول عمره ، فلما أعجزه ذلك عاد فى أدبار عمره يلتمسها سؤالا ، ويرجوها نوالا (٦٦) . وهذا قول يصححه إلى حد بعيد تأمل شعره فى مصر وقبلها ، وما يدل عليه ذلك الشعر من تغير أساليب أبى الطيب فى بلوغ مآربه .

كان يقول فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٠هـ فى إحدى مدائحه لسيف الدولة :

إنما انفس الأنيس سباع
يتفارسن جهرة واغتيالا

---

(٦٤) انظر : يتيمة الدهر : ١١٣/١ ، وراجع أعيان الشيعة : ٥١٧ ، والصبح المنبى : ٩٥ .
(٦٥) الديوان : ٤٠/٢ .
(٦٦) عبد الرحمن صدقى مقال : جنون العظمة فى المتنبى من كتاب : أبو الطيب : حياته وشعره (مقالات مجموعة) : ص ٦٥ .

من اطـاق التماس شىء غـلابا

واغتصـابا لم يلتمسه سـؤالا(٦٧)

وهذا القول يمثل مذهبه منذ أن ترك الكوفة إلى أن لقى سـيف الدولة أصدق تمثيل ؛ فقد ظن قبل سجنه أنه مستطيع بلوغ أمله غلابا ، فأكثر من ذكر ركوب السيف ، وإراقة الدماء ، وتضريب اعناق الملوك ، وسفك دم الحواضر والبوادى ، وأسرف فى هذا إسرافا فتح عليه الاعين فى مطالع حياته ، وكان بعدّ من أقوى أسباب حرمانه ٠ فلما عضـّـته قيود السجن سـنة ٣٢٢هـ تخفف من بعض ثورته ، وإن كان لم يفـارق مذهبه ٠

ولكنه لمـا لم ينل ما أمّله غـلابا ، وامتحنت نفسـه امتحانها فى حلب ، رأى أن يغير مذهبه ، ويفارق أسلوبه الأول ، ولو إلى حين ، وحدثته نفسـه بأن الأقرب إلى بلوغ آماله أن يرجوها سؤالا ونوالاً ، وإن يحتـال لبلوغها احتيالا ، والكريم يحتال على العلياء كما قال(٦٨) هو نفسه ٠

ترك أبو الطيب مذهبه فى ركوب السيف فيما قال من الشعر فى مصر قبل أن يخيب رجاؤه ، ويستعلن يأسه ، ولم يظهر فى شعره شىء مما كان يلهج به من مقت الملوك ، ومعاداتهم ، والخروج عليهم ، وجعل مدحه لكافور مركبه إلى ما أراد ، وافرط فى بعضه إفراطا ، نزل فيـه بنفسـه نزولا لا يتفق وعمودَ شعره ، ولا يلتئم مع طبيعة نفسه(٦٩) ،

---

(٦٧) الديوان : ١٤٧/٣ ٠

(٦٨) من قوله فى مدح فاتك :

لطفت رأيك فى برى وتكرمتى إن الكريم على العلياء يحتال

الديوان : ٢٨٦/٣ ٠

(٦٩) انظر ما سبق ص ٢٧ ٠

وطلب فى بعضه من كافور أن يصطنعه ، وأن يجربه تجريب السيف ثم يثبته بعد هذا أو ينفيه ، ورضى أن يصير ثلثى حياته انتظاراً لوفاء كافور بوعده ، لولا أنه لا يدرى كم حياته ، وأن ما يمضي من عمره ليس بعائد ، ويقول : إنه قاد إليه قَوْدَ المسلم المذعن .

وأبو الطيب لا يعبر فى هذا قطعا عن حقيقة نفسه ، وخبىء صدره ولكنه الاحتيال لبلوغ الآمال ، ولقد قال لكافور من أجل هذا ما لم يقله لأحرار الملوك ، وطابت نفسه له بما لم تطب بمثله لمن كان فوقه من ممدوحيه السابقين .

وقد صرّح أبو الطيب بعد هذا - فى بعض ما هجا به - بأنه كان يحتال فى جذب كافور ليحقق له آماله ، ويبلغه حاجة نفسه ، ولكنه كان كمن يحلب الصخر ، ويستمطر السحائب العقم فقال :

لا ينجز الميعاد فى يومه ولا يعى ما قال فى أمسِهِ
وإنما تحتال فى جذبه كأنك المـلاح فى قلْسِهِ (٧٠)

وكان أبو الطيب يقول قبل مصر : ليس التعلل بالآمال من أربى ولكنه خلال عامى ٣٤٧هـ ، ٣٤٨هـ - قبل أن ينقطع من كافور رجاؤه - يتعلل بالآمال ، ويخدع نفسه فى بعض ما قال .

وقد حاولت أن التمس تفسيرا لهذا التحول النفسى عند المتنبى فبدا له أنه راجع من بعض الوجوه إلى اعتقاد المتنبى أن مصر هى فرصته الأخيرة فى بلوغ رجائه الذى عاش حياته يطلبه ، ولهذا كان يعض عليه ، ويحتال لبلوغه . ومما دفعه إلى هذا أن كافوراً كان قد

---

(٧٠) الديوان : ٢/٢٠٤ . والقَلْس : حبل السفينة الذي تجذب به . الهامش .

عرّف ما فى نفسه ، واطلع منها على ما ظن أبو الطيب أنه يخفيه ، فكان يسوسه سياسة ذكية فيدنيه من أمله ، ثم يقصيه ، ثم يعود فيدنيه .. ويدس عليه ما يطمعه ، ثم يعود فيبدى له ما ييئسه .. وهكذا .

ولهذا التحول النفسى سبب آخر فيما أرى وهو أن المتنبى كان يكاد يموت كمداً إذا فكر فى شماتة سيف الدولة ، ومَن فى حلب به حين يعود بخيبته ، وإخفاقه ، وعار نفسه . فكان هـذا يدفعه إلى الإكثـار من الطلب ، وتكرار استنجاز الوعـد ، ويصبّره على المطـل ، ويجرعه غصصه ، ويزين له التعلق بكاذب الأمل فى حالات اليأس ولهذا وجدته فى القصيدة التى قالها لمـا بلغه أنه نعى فى مجلس سيف الدولة - وهى من أقوى قصائده النفسية - يقول لكافور :

وإن تأخـرَ عنى بعض موعـده
فمـا تأخـرُ آمـالى ولا تهن

هو الـوفى ولكنى ذكـرت لـه
مودة فهو يبلوها ويمتحن(٧١)

وقد فسر أبو العلاء قوله : (بعض موعده) بما كان وعده به من الولاية وغيرها . وأبو الطيب يقول هذا فى أوائل سنة ٣٤٨هـ ، وهى السنة التى غلب يأسه فيها أمله ، وانقطع رجـاؤه من كافور ، أو كاد . ولكن خوفه من الفشل يحمله على التعلق بكاذب الأمل .

ويدخل فى احتيال المتنبى لبلوغ أمله فى الملك والولاية ، وحسن تأتيه لهذا - قصيدته التى قالها فى الخـلاف الذى وقـع بين كافور وأنجـور ، وهى قصيدة فى الصـلح ، ودعوة إلى السلم ، غريبة فى

---

(٧١) الديوان : ٢٣٩/٤ . ومعجز أحمد : ١٢٢/٤ .

تاريخ شعر المتنبى وتاريخ نفسه .. فالمتنبى شاعر السيف والدم ولكنه في هذه القصيدة يبارك الصلح ، ويدعو إلى السلم ، ويذم الاختلاف ويوظف التاريخ لهذا فينتزع أمثلة للأمم التي اختلفت فبادت وهلكت فيقول :

حسم الصلح ما اشتهته الأعادى
واذاعته ألسن الحساد

وأرادته أنفس حال تدبير
ك ما بينها وبين المراد

صار ما أوضع المخبون فيه
من عتاب زيادة فى الوداد

وكلام الوشاة ليس على الأحـ
ـباب سلطانه على الأضداد

إنما تنجح المقالة فى المر
ء إذا صادفت هوى فى الفؤاد

ولعمرى لقد هززت بما قيـ
ـل فألفيت أوثق الأطواد

قد يصيب الفتى المشير ولم تجـ
ـهد ويشوى الصواب بعد اجتهاد(٧٢)

وهو يثنى على كافور فى هذه القصيدة ثناء صدق شايعت نفسه فيه لسانه ، أو كادت فى ظاهر الشعر فيقول :

ففدى رأيك الذى لم تفده
كل رأى معلم مستفاد

وإذا الحلم لم يكن فى طباع
لم يحلم تقدم الميلاد

فبهذا ومثله سدت يا كا
فور واقتدت كل صعب القياد ..

(٧٢) الديوان : ٣٢/٢ .

ويبلغ فى مدح كافور ودولته كل مبلغ حين يقول :

هــذه دولــة المــكارم والــرأ
فة والمجــد والنــدى والأيادى
كسفت ساعة كما تكسف الشمـ
ـس وعادت ونورها فى ازدياد
يزحم الدهــر ركنها عن أذاها
بفتى مــارد من المــراد
متلف مخلف وفى أبى
عالم حازم شجاع جواد(٧٣)

وغرابة هذه القصيدة فى تاريخ شــعر المتنبى ونفسه أنهــا دعوة إلى السلم ، وحــرب على الاختلاف والحرب .. وهذا كله خــلاف الأشهر من مذهبه وهو ركوب السيف ، واعماله فى الرقاب ، وأنهــا من شعره القليل فى مصر الذى لم يتنــازع فيــه قلبــه ولســانه ذلك التنازع الذى كان الطابع الأعظم والأغلب على شعره فى مصر قبــل أهاجيه المرة .

والأقرب فى تفسير هذه القصيدة فى سياقها من تاريخ شعر المتنبى ونفســه فى مصر أنهــا من احتيــاله ، وحسن تأتيه لآماله .. قالهــا قبل أن يغلبه اليأس ، وينقطع رجاؤه ، وانحاز فيها لكافور ليدفع عن نفسه ما كان أحاط بهــا من الشك والشبهة ، وليغسل بهــا ما كان قاله قبــل ذلك فى غضبة من غضبات نفسه ــ إن كان قالــه ــ : إن دخلت مصر فما قصدى إلى العبد ، وإنما قصدى إلى ابن سيده .

---

(٧٣) الديوان : ٣٧/٢ .

وفى القصيدة بعد هـذا دلالات نفسـية على ما كان أبو الطيب يحاول ان يخفيه ولكنه يغلبه فيبـدو فى ثنايـا قـوله ، أو ينطوى فى ثنايا حكمته .. والارجح عندى أنا ابا الطيب كان يرى من الخير فى انتقال الامر إلى انجور ما لا يراه فى بقائه فى يد كافور ، وقد كانت له يد قديمة عند انجور حين عزّاه فى ابيـه . أما وقد قمعت الفتنـة، واستقام الأمر لكافور فليس امامه إلاّ أن يكون مع الغالب وحيث استقر الأمر .

وحاصل ما تقدم أن ابا الطيب أراد فى مصر الولاية والملك ، وكان هذا اقوى حاجات نفسه فيها ، وانه غيّر من طريقته فى بلوغ رجائه فاحتال له ما استطاع ، واجتهد فى التاتى ما امكنه ، وسـّام نفسه على هذا سـّوما عنيفا ، فلم يبلغ به الاحتيال والتاتى إلى مـا اراد ، كما لـم يبلغ بـه الغلاب والتقحم .

* * *

الفصل الثانى

الإخفاق

★ أبلغ ما يُطلب النجاح به الطبْـ
ـع وعنـد التعمق الـزلل

ديوان المتنبى : ٣/ ٢٢٠

- ١ -

محنة أبى الطيب فى مصر موصولة بمحنته فى حلب ، وإخفاقه عند سيف الدولة مقدمة لإخفاقه عند كافور ، ومؤثر فيه ، وهذا هو الوجه فى الابتداء فى هذا الموضع بما حملته نفسه من إخفاقها ، ومصابها فى حلب .

وفى شعر أبى الطيب ثلاث قصائد ، هى ثلاث وثائق نفسية لما أصاب نفسه فى حلب : الميمية التى أنشدها سنة ٣٤١هـ لما تكدر ما بينه ، وبين سيف الدولة ، واليائية التى قالها لكافور أول ما لقيه فى جمادى الثانية سنة ٣٤٦هـ ، والنونية التى قالها سنة ٣٤٨هـ حين بلغه أن قوماً نعوه فى مجلس سيف الدولة ، وقد قالهما فى مصر .

ففى الميمية (١) قال إنه حران القلب ، سقيم الحال والجسم :

واحَرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ
ومن بجسمى وحالى عنده سَقَمُ

ورد هذا إلى أن سيف الدولة لم يراع قديم معرفته :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة
لو أنّ أمركم من أمرنا أمم

ولم يعد يوفه حقه :

يا أعدل الناس إلاّ فى معاملتى
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وأحضر معه من لا خير فيه ، وقدم عليه من لا يدانيه :

أعيذها نظرات منك صادقة
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ

---

(١) الديوان : ٣/٣٦٢ - ٣٧٤ .

وطلب له المعائب والعورات :

كم تطلبـــون لنـــا عيبـــا فيعجزكـــم
ويكـــره اللـــه مـــا تأتـــون والكـــرَم

وأعطى أذنا لحساده ، وشانئيه :

إن كان سـركم ما قـال حاسـدنا
فمـا لجـرح إذا أرضـاكم ألـــم

وزهد فيه ، فلم يترك له خياراً سوى الرحيل :

إذا ترحلت عـن قـوم وقـد قـدَروا
ألا تفارقهـــم فالراحلـــون هـــم

وسواء أكان هذا حقيقة ما لقى من سيف الدولة ، أم كان وهمـا صوره للمتنبى حزنه ، وضيق نفسه فالنتيجة واحدة وهى أنه يكشـف عن ما يؤود نفس المتنبى يومئذ ، ويعكس ما تلاقى .

ومما يوقف عنده أن الشعر الذى قبل هذه الميميـة فى ترتيب الواحدى لا يرى فيه أثر واضح لهذه القطيعة التى اعلنت عن نفسـها بين الرجلين فى هذه الميمية ، وإنما هو مدح على ظفر ، أو شكر على هدية ، وفى بعضه رضا ظاهر ، وقرب قريب ، ينطويان على اعجاب طلق،وثناء عريض(٢)، فهذه الميمية حد فاصل بين مرحلتين من شعر أبى الطيب فى حلب ، وتتبع شعره بعدها يدل على أنـه اجتهـد فى أن يصلح ما فسد بينه وبين أميره ، لكن نفس سيف الدولة لم تصف لأبى الطيب صفاءها القديم ، فبعدها فى ترتيب الواحدى بائية قصيرة يمدح فيها سيف الدولة ، ويعتذر إليه ، ويستعطفه ، ويبذل له الرضا ،

---

(٢) راجع ديوان المتنبى ١٦٩/٤ - ١٧١ ، ٥٦/١ ، ٥٤/١ .

ويبلغ فى آخرها المبلغ الـذى لا شىء بعـده فى الاعتذار والاستعطاف فيقول :

وإن كان ذنـبى كـل ذنـب فإنـــه
محا الذنب كل المحـو مـن جـاء تائبا (٣)

وفى شعبان سنة ٣٤١ هـ يجتهد فى الاعتذار إليه ، ويقول :

ياأيهـا المحسن المشـكور من جهـتى
والشكر من قبَل الإحسـان لا قبـلى
ما كـان نـومى إلا فـــوق معـرفتى
بـأن رأيـك لا يـؤتى مـن الـزلل

ويأمل أن ينجلى عتب سيف الدولة عن محمود العاقبة ، وهـذا يعنى أنه كان ما زال يومئذ عاتبا عليه فيقول :

لعـل عتبـك محمـــود عواقبـــه
فربمـا صــحت الأجسـام بالعـــلل

ويكذب نفسه فيما كان قاله من أن سيف الدولة ينصت فيه للحساد والواشين ، ويعطيهم أذنا ، وأنه يشوب العطاء بأذى ومن فيقول :

وما ثناك كلام النـاس عـن كـــرم
ومن يسدّ طـريق العارض الهطـــل
أنت الجـواد بـلا مَنّ ولا كـــذب
ولا مطـال ، ولا وعـد ولا مَذَل (٤)

وحين اشتكى سيف الدولة من دمل فى العام الذى تلا عام الجفوة زاد المتنبى فى تودده ، ورام إصلاح ما فسد بينه وبين أميره فقال :

---

(٣) الديوان ٧١/١ .
(٤) الديوان ٧٤/٣ - ٨٧ ، والمذل : الفترة والضجر . هامش ص ٨٧ .

بسيف الدولة الوضاء تمسى
جفونى تحت شمس ما تغيب
فاغزو من غزا وبه اقتدارى
وأرمى من رمى وبه أصيب
وللحساد عذرٌ ان يشحّوا
على نظرى إليه وان يذوبوا
فإنى قد وصلت إلى مكان
إليه تحسدُ الحدَق القلوب(٥)

فما نفعه ذلك كله ، ولا عطف عليه قلب سيف الدولة ، فكان اعتذاره بعدها كسيرا ، وتودده ضارعا يائسا ، وغناؤه النفس حزينا يصور قلق نفسه ، وهمها الذى طرد عنه النوم والشعر وقد صور ذلك فى رائيته التى أولها :

ارى ذلك القرب صار ازورارا
وصار طويل السلام اختصارا

وفيها يقول :

تركتينىَ اليوم فى خجلة
أموت مرارا واحيا مرارا
اسارقك اللحظ مستحييا
وازجر فى الخيل مهرى سرارا
واعلم إنى إذا ما اعتذرت
إليك أراد اعتذارى اعتذارا

(٥) الديوان ١/٧٤ ، ٧٥ .

ولكن حمّى الشعر إلا القليـــــل همّ حمّى النـــوم إلا غـــرارا(٦)

وبعد سنة ٣٤٢ هـ سكت أبو الطيب عن معاتبة سيف الـدولة ، والاعتذار إليه أو كاد ، وبقى يمدحه بشعر أكثره مدح لسان .

فدل هذا السرد على أن الجفوة وقعت بين المتنبى وسيف الدولـة عام ٣٤١ هـ . واجتهد أبو الطيب فى أن يزيلها ، وتأتى لهذا بما استطاع من مدح واعتذار إلى نهاية عام ٣٤٢ هـ . ثم يئس من استمالة قلب سيف الدولة ، وأن يصفو صفاءه القديم ، فطوى النفس على ما بها حتى فارق حلب بغصة فى حلقه ، وحسرة فى نفسه لم تفارقاه بعدها : غصة لفراق الرجل ، وحسرة على ضياع الأمل .

وشعر المتنبى كما رأيت يرد الجفوة إلى تحول قلب سيف الدولة عنه ، وزهده فيه ، وأخبار الرواة تردها إلى أبى الطيب نفسه ، لأنه كان يتعاظم فى مجلس سيف الدولة ، ذهابا بنفسه وبشعره ، والملـوك لا تطيق ذلك ، ولأنه كان يبطىء فى مدحـه ، ويتأخـر عن حضـور مجالسه(٧) . ولعل فى الأمر أسبابا أخـرى غـير ما أفصـحت عنه الأشعار ، وجاءت به الأخبار .

ومهما تكن أسباب الجفوة فإنها تركت فى نفس المتنبى أثرا بليغا ، وأورثته هما ثقيلا ، وحزنا طويلا ، سـكن النفس واستوطنها ، وكان قبلها قد أقام عند أمير حلب أربع سنوات من الرجاء العريض ، نصرت عيناه فيها قلبه ، وقلبه لسانه .

ثم لقى المتنبى كافورا أول ما لقيه عام ٣٤٦ هـ ، بهـذه النفس

---

(٦) الديوان ٢/٩٤ .
(٧) انظر المتنبى لشاكر ٢/٢٧٨ ، وديوان المتنبى ٢/٩٤ ، ٩٨ .

الحرى التى يعذبها إخفاقها ، فاذا هو يقول : إن الموت بات له شفاء والمنايا صارت أمانيا :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

ويرد ذلك إلى أنه فقد الصديق الصدوق ، والعدو المداجى :

تمنيتها لما تمنيت أن ترى
صديقا فاعيا أو عدوا مداجيا

وأريد على الهوان وقبول المذلة :

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة
فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة
ولا تستجيدن العتاق المذاكيا (٨)

وهذه القصيدة فى بعض جوانبها تاريخ لمحنة أبى الطيب فى حلب ، وللأثر الذى تركته فى نفسه ، وبعد نحو سنتين عاد إلى تلك المحنة ، بل عادت إليه حين بلغه أن قوما نعوه فى مجلس سيف الدولة ، فثارت نفسه ثورتها ، وقال فى ذلك نونيته التى مطلعها :

بم التعلل ؟ لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وهى غناء نفس يدل على أن محنته فى حلب ، ومصابه فى سيف الدولة بقى حيا فى نفسه . ولنا عود إلى هاتين القصيدتين .

- ٢ -

انفرد الشيخ أبو فهر محمود شاكر بالقول بأن المتنبى لم ينكب فى حلب فقط فى سيف الدولة الرجل الذى تخيره من الملوك ، وكان حين

---

(٨) الديوان ٤/٢٨١ ، ٢٨٢ .

وجده كالذى وجد نفسه بعد فقد،ووطنه بعد طول غربة.وإنما أيضا فى المرأة التى أحبها ، وعلقها قلبه ، وهى خولة أخت سيف الدولة الكبرى، ورأى أن فقد المرأة كان أعظم أثرا فى نفس المتنبى ، لأن فراق الرجل لا يغير الطبيعة المتأصلة ، وإنما يغيرها فقد الحب ، وقد تغيرت طبيعة أبى الطيب بعد حلب تغيرا ظاهرا(٩) .

وقد بنى الشيخ رأيه على استنباط ، وفقه باطنى فى شعر المتنبى، ولم يعول فيه على نص صريح ، وأنى للنص الصريح أن يبلغ أمثال هذه العواطف القلبية الخاصة ، وهى شىء إن أدركته الوشاية ، لم تدركه الرواية ؟! .

وقد تأملت هذه المقالة فوجدت الرأى منقادا إلى أكثرها بظن راجح ، إن جاز أن يؤرخ للنفوس والقلوب بالظن الراجح وذلك أنى وجدت فى غزل أبى الطيب فى حلب ، وفى مصر شعرا إلا يكن فى خولة ، ففى امرأة فى مثل حالها ، ومكانها .

واقدم ما وجدت من هذا قوله فى رثاء أم سيف الدولة :

وأبرزت الخدور مخبئات ... يضعن النقس أمكنة الغوالى

أتتهن المصيبة غافلات ... فدمع الحزن فى دمع الدلال(١٠)

وكأنما برزت (خولة) يومئذ فيمن برزن ، ودمعت فيمن دمعن وراها المتنبى على حالها تلك وكانت قد وقعت قبل من نفسه - والغوانى يقتلن أكثر ما يقتلن غافلات ، ويسبين أكثر ما يسبين باكيات.

---

(٩) انظر فصلا مختصرا كثير الاستنباطات فى المتنبى ٢٢٥/١ - ٢٥٠.
(١٠) الديوان ١٧/٣ . والنقس : المداد والغوالى : جمع غالية : نوع من الطيب .

فقوله : (فى دمع الدلال) مما يوقف عنده فى هذين البيتين ، وهو بالغزل أشبه منه بالرثاء فإذا لم يكن عمد إلى تدقيق المعنى ، والدلالة على مفاجأة المصاب . فهو دليل على أنه وصف من يحب ، وتغالب فى قلبه الحذر والحب فتنفس الحب فى لفظ الدلال . فإن كان ذلك التفسير صحيحا وكان هذا الشعر منصرفا إلى خولة فهو دليل على أنه عرفها مبكرا ، لانه قال هذه القصيدة فى عامة الأول عن سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ .

وفى رثاء (أبى الهيجاء) ابن سيف الدولة عاد أبو الطيب إلى ذلك المعنى بعينه ، فقال :

تركَت خــدود الغانيــات وفوقهــا
دموع تذيب الحسـن فى الأعين النجل

تبـل الثرى سوداً من المسـك وحـده
وقد قَطرت حمرا على الشعَر الجثْل(١١)

وذكر الخدود ، والحسن ، والأعين النجل ، والمسك يجعل الكلام بالغزل أشبه . قال العكبرى : إن ذكره المسك دليل على انه ذكر جارية ناهدا ، غير ذات بعل ، لأن الجوارى لا يكتحلن إلا بالمسك(١٢) .

وبعد ثلاث قصائد من السابقة فى ترتيب الواحدى يقول :

إنّ المعيد لنـــا المنـــام خيـــالَه
كانت إعادتــه خيــال خيالـــــه

بتنـــا يناولنـــا المـــدام بكفـــه
من ليس يخطــر أن نــراه ببالـــه(١٣)

---

(١١) الديوان ٣/٤٣ ، ٤٤ ، والجثل : الكثير الملتف هامش ٤ ص ٤٤ .
(١٢) الديوان هامش البيت ٤ ، ٣/٤٤ .
(١٣) الديوان ٣/٥٤ .

وهو يصف هنا من لا يطمع فى رؤية شخصها فى اليقظة ، فيكتفى باستحضار خيال خيالها المرسل ، فيكون الذى يراه منه خيال الخيال ، ويقول فى آخر البيت الثانى : إنها امرأة لا يخطر هو ببالها . فإذا لم يكن هذا أيضا إيغالا فى الصنعة ، وتدقيقا فى المعنى . فهو لامرأة ممتنعة عزيزة ، كخولة أو من هى فى مثل حالها .

هذا ما يمكن صرفه إلى خولة ، أو من فى مثل حالها من الشعر الذى قاله أبو الطيب فى حلب قبل سنة ٣٤١هـ وهو عام الجفوة التى وقعت بينه وبين سيف الدولة .

وفى سنة ٣٤١هـ قال أبياتا يمكن أن تنصرف إلى جولة بوجه أقوى مما قيل قبلها ، قال :

وما صبابة مشتاق على أمل
من اللقاء كمشتاق بلا أمل

متى تزر قوم من تهوى زيارتها
لا يتحفوك بنير البيض والأسل

والهجر أقتل لى مما أراقبه
أنا الغريق فما خوفى من البلل

ما بال كل فؤاد فى عشيرتها
به الذى بى ، وما بى غير منتقل

مطاعة اللحظ فى الألحاظ مالكة
لمقلتيها عظيم الملك فى المقل(١٤)

وانظر إلى قوله : « مشتاق بلا أمل » وقوله : « يتحفوك بغير البيض والأسل » وقوله « والهجر أقتل لى مما أراقبه » وقوله « ما بال كل فؤاد فى عشيرتها .. البيت » وقوله « مطاعة اللحظ .. البيت »

(١٤) الديوان : ٣/٧٥ ، ٧٦ .

= فإنها معانٍ من الغزل لا تشبه المعتاد من مذاهب الشعراء فيه ولا تشبه مذهبه هو فيه قبلُ . هذا . ومعجمه اللفظى فى هذه الأبيات : « البيض » و « الأسل » و « اراقبه » و « مطاعة اللحظ » و « مالكة لمقلتيها » لا يخلو من دلالة على ما نحن فيه وكذا قوله « عظيم الملك فى المقل » .

فإذا علمت أن القصيدة التى منها هذه الأبيات أولى اعتذارياته بعد الجفوة ، وأنه يدفع بها عن نفسه ما اتُّهِم به ، وحوّل عنه قلب سيف الدولة = عرفت أن هذا كلام نفس كانت تتنازعها دواعى الهوى ودواعى الحذر ، ودفع الريب ، وأن دواعى الهوى غلبته أو كادت .

وكأنى به يود لو غلب الحذر الحب ، ولكن الحب غلب الحذر . وإذا كانت المقطعات الثلاث الأولى تشبيبا ووصفا ، فإن القطعة الأخيرة تعبير عن الحرمان وتعذر الوصل كان هذا ما قاله فى حلب .

وفى أول ما لقى به كافوراً من الشعر سنة ٣٤٦هـ يقول :

حببتك قلبى قبل حبك من نأى
وقد كان غدّارا فكن لى وافيا
واعلم أن البين يشكيك بعده
فلست فؤادى إن رأيتك شاكيا
فإن دموع العين غدر بربها
إذا كُنّ إثر الظاعنين جواريا(١٥)

وهذه الأبيات جاءت بعد غناء حزين ، طاغى الحزن ، فكان الحزن ذكره بأسبابه ودواعيه . والواحدى يجعل هذه الأبيات من التعريض ، ويخصصها بسيف الدولة ويجعله المحبوب النائى ، ولكن

---

(١٥) الديوان : ٢٨٣/٤ .

ابن جنى وهو أعلم بمعانى شعر المتنبى ونفسه — يطلقها ويقول : إنه يعاتب قلبه على الحنين إلى من فارق(١٦) . وهى بهذا التأول صالحة لأن تكون فى كل حبيب فارقه .

وهذه الأبيات إذا وضعت فى سياقها من تاريخ نفس المتنبى ثم صرفت إلى سيف الدولة وحده إلتامت من وجه ، وانثلمت من وجه آخر ، فالمتنبى كان مفرط العتب على سيف الدولة فى هذه القصيدة ، ذاما له ؛ لأنه كان قريب عهد بمحنته عنده ، وكان على رجاء من كافور لم يخالطه كبير يأس فقوله فى هذا : « وأعلم أن البين يشكيك بعده » وقوله « حببتك قلبى قبل حبك من نأى » ينصرف إلى خولة أو من فى مثل حالها أكثر مما ينصرف إلى سيف الدولة . إلاّ أن يفسر الأمر بتدافع العواطف وتداخلها فى نفس المتنبى تجاه سيف الدولة . ، وليس بمستبعد هذا .

وقد رأيت أبا الطيب فى بعض ما قال من الشعر فى حلب يمزج المدح بالحب ، ويستخدم ألفاظ هذا فى ذاك . ولهذا تفسير نفسى هو أن المتنبى لما أحب خولة ، ومازج قلبه حبها قدم الحذر فتصبر وتماسك لمكانه ، ومكانها من سيف الدولة ، ثم ألح عليه ما فى قلبه فبداه الطبع الشاعر إلى ضرب من المدح الغزلى ، أو الغزل المدحىّ ، وجاء بكلام إذا انصرف إلى الممدوح انصرف بوجه ، وكان فنا من المدح بديعا ، وإذا صرف إلى المحبوب انصرف بوجه آخر وكان فنا من الغزل لطيفا ، فأرضى بذلك حبه وحذره ، ومحبوبه وممدوحه . ثم كان هذه الحيلة صارت بعدّ مذهبا فنيا ، بعدما كانت مذهبا نفسيا .

---

(١٦) الديوان : ٤/٢٨٣ هامش ٦ .

وصار قول المتنبى إن قوم من يهوى يقرون من رام نساءَهم البيض والأسل معنى مكرراً من معانى الغزل عنده ، ففى المصرية التى قالها سنة ٣٤٦هـ ، يقول من مطلعها :

من الجآذر فى زىّ الاعاريب
حمرُ الحلى والمطايا والجلابيب

ثم يقول بعد بيتين :

سوائر ربما سارت هوادجها
منيعة بين مطعون ومضروب
وربماَ وخَدَتْ ايدى المطى بها
على نجيع من الفرسان مصبوب(١٧)

وقوله : « ربما سارت هوادجها » وما بعده التفات قلب ، وانتقال معنى ، وفى التفاتات أبى الطيب ، وانتقالاته أسرار نفسه وكنوزها كما يقول الشيخ ابو فهر محمود شاكر .

وذهب ابو الطيب هذا المذهب نفسه فى قصيدة اخرى قالها في العام نفسه ، مطلعها :

أودُ من الأيام مالا تودّه
واشكو إليها بيننا وهى جنده

- وهذا المعنى هو خلاصة محنة المتنبى فى حياته كلها - وفيها يقول :

رَعى الله عيساً فارقتنا وفوقها
مها كلها يُولىَ بجفنيه خده

ثم التفت وانتقل بعد بيتين فقال :

(١٧) الديوان : ١/١٦١ .

وحال كإحداهن رمت بلوغهـــا
ومن دونهـــا غول الطريق وبعـــده(١٨)

وهذا الالتفات كالذى قبله فى أنه يحمل قبسا من نفس المتنبى ، وسرها ، وفى إمكان انصراف المعنى الملتفت إليه فيه إلى خولة .

وفى المصرية التى قالها سنة ٣٤٧هـ بيتـان قويان فى الدلالة على ما نحن فيه وهما :

رحلت فكم باك باجفـاك شـــادن
علىَّ وكم باك باجفـــان ضـــيغم
ومـــا ربة القـــرط المليح مـــكانه
باجزعَ من ربِّ الحسام المصمِّم(١٩)

ثم لا يرد فى شعر أبى الطيب بعدها ما يمكن صرفه إلى خولة ، وكانما شغله عن هذا إخفاقه فى مصر ، وخيبة رجائه فى كافور . إلى أن تاتى سنة ٣٥١هـ ، وترد على هدية من سيف الدولة وهو بالكوفة بعد أن ترك مصر ، فيعود إلى ما كان ذهل عنه من سر قلبه فيقول :

ما لنـا كلنـا جَـــو يا رســـــول
انـا أهـوى وقلبك المتبـــــــول
افســـدت بيننـا الأمـانات عينـــا
ها وخـــانت قلوبهن العقــــول
تشتكى ما اشتكيت من طـــرب الشو
ق إليهـا والشوق حيث النحـــول ..
وإذا خـــامر الهـــوى قـلب صـَبّ
فعــليه لكل عـــين دليـــــــل

(١٨) الديوان : ٢/٢٠ - ٢٢ .
(١٩) نفسه : ٤/١٣٤ .

زودينـــــا من حســن وجــهك مــادا

م فحسن الوجــــــوه حــال يحــول

وصـــــلينا نصــلك فى هـــذه الدنـــ

ـــيا فـــإن المقــام فيهـــا قليـــل(٢٠)

والرسالة والهديّة جاءتاه من سيف الدولة ، ولكنه يتحدث وكأنهمـا جاءتاه من خولة . وفى هذا الشعر نفس جديد فى غزله ، فهو هنـــا أشــبه بمن يبكى الحب وينعــاه ، لا من ينعته ويصفه . وكأنهما كانا أسرا الهوى ، وتعاهدا على الكتمان ، وألا تخون العيون العقــول ، فوفى حينا ثم خانته عيناه ، وأفسدتا ما بينه وبينها من أمانات ، فعرف أمره وأمرها .

ولم يرد مثل هذا المعنى فى شــعر المتنبى قبل ، ولكنه قد مضى الآن على فراق خولة نحو خمس سنين ، فلا عليه من أن يعترف عــلى نفسه ، وينتصف منها . وهذا التأول ـ إن صح ـ قد يخــالف ما ذهب إليه شــيخنا أبو فهــر من أن ســيف الدولة كان عالمــا بما بين المتنبى وخولة ، وراضــيا بــه ، وأنه وعـــده بأن يزوجهــا له ثــم قعــد عن وعــده(٢١) .

وبقى أبو الطيب إلى آخــر أيامه يدندن بشعر مما يمكن صرفه إلى خولة ، ففى القصيدة التى مدح بهــا دلير الديلمى سنة ٣٥٣هـ يقــول مخاطبا اللائمة :

.. تقولين ما فى النــاس مثلك عاشــق

جدى مثل من أحببته تجدى مثلى(٢٢)

---

(٢٠) انديوان : ١٤٨/٣ ، ١٤٩ . وانظر : ٨٦/١ ـ ٩٦ .
(٢١) انظر المتنبى : ٢٣٥/١ ، ٢٥٢ .
(٢٢) الديوان : ٢٨٩/٣ .

وفى القصيدة التى مدح بها ابن العميد يقول فى آخر أبيات الغزل فيها متلفتا منتقلا .

فبلحظها نكرت قناتى راحتى
ضعفا وانكر خاتماى الخنصرا
أعطى الزمان فما قبلت عطاءه
وأراد لى فأردت ان اتخيرا(٢٣)

وآخر إشارة وجدتها فى هذا الباب قوله فى القصيدة التى مدح بها عضد الدولة ابا شجاع فناخسرو سنة ٣٥٤ هـ ، وهو العام الذى قتل فيه = ملتفتا بعد أبيات غزلية :

فيهن من تقطر السيوف دما
إذا لسان المحب سماها(٢٤)

وقد قلت : إن هذا المعنى من المعانى الغزلية الخاصة التى تتكرر فى شعره فى حلب وما بعدها . وقد فتشت شعره قبل حلب لاظفر بهذا المعنى الذى أصبح من أصول معانيه فى الغزل بعد ذلك ، فلم أجده يتردد كثيرا فى غزلياته ، ووجدته فى موضعين : الأول فى قصيدة فى مدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى ، وفيها يقول :

عدوية بدوية من دونها
سلب النفوس ونار حرب توقد

(٢٣) الديوان : ١٦٣/٢ .
(٢٤) نفسه : ٢٧٢/٤ .

وهواجل وصـــــواهل ومناصــــــــل

وذوابل وتوعــــد وتهـــــــــدد(٢٥)

والثانى فى قصيدة هجا بها ابن كيغلغ :

يا أخـت معتنـق الفـــوارس فى الوغى

لأخــوك ثم أرق منـــك وأرحــم(٢٦)

وربما كان الأصل فى هذا المعنى قول امرىء القيس :

تجـــاوزت أحراســـــا إليهـــا ومعشرا

علىّ حراصــــا لو يشرون مقتــــــلى

وها هنا قولان : أن يقال إن هذا المعنى عند أبى الطيب من معانى الشعر لا من معانى النفس ، وأنه يلائم نفسه المستعلية ، وذهابه بنفسه . أو يقـال : إنــه من معانى النفس والقلب لارتباطه بمحنته فى حلب ، ومصابه فى سيف الـدولة . وأنا إلى القول الثـانى أميل . ومن حسن نقد الشعر التمييز بين معانى الشعر ، ومعانى النفس وإن تشابها .

يقى أن أقول إن الشعر الذى قلت : إنه ينصرف إلى خولة بظن راجح تركز أكثر ما تركز فى ثلاث محطات نفسية من تاريخ أبى الطيب : فى سنة ٣٤١هـ وهو عام الجفوة التى وقعت بينـه وبين سيف الدولة وفى سـنة ٣٤٦هـ وهو العـام الذى نزل فيـه مصر ، وتحـول إليها بنفسه وآماله ، وفى سنة ٣٥١هـ حين خرج من مصر باخفاق جـديد ، ولشعره فى كل محطة من هذه المحطات الثلاث مذاق نفسى خاص .

وكل ما سبق يقوى القول بأن خولة كانت حاجة من حاجات نفس أبى الطيب فى حلب ، وسببا من أسباب اخفاقه فيها ، ثم صارت باعثا من بواعث حزنه وشكواه فى مصر وبعدها .

---

(٢٥) الديوان : ٣٣٠/١ .
(٢٦) نفسـه : ١٢٢/٤ .

- ٣ -

بقى مصاب أبى الطيب فى حلب يعمل عمله فى نفسه حين نـزل مصر ، ومطلع القصيدة التى لقى بهـا كافوراً أول ما لقيه تؤرخ لحالته النفسية تلك أصدق تاريخ . قال :

كفى بكَ داءً أن ترى الموت شـافيا
وحسـب المنـايا ان يـكن امانيـا
تمنيتهـا لمـا تمنيت ان تـرى
صـديقا فاعيـا او عـدوا مداجيـا
إذا كنت ترضى ان تعيش بذلـة
فلا تستعدّن الحسـام اليمانيـا
ولا تستطيلن الرمـاح لغـارة
ولا تستجيدن العتـاق المذاكيـا
فما ينفع الأسدَ الحيـاء من الطوى
ولا تتقى حتى تكون ضـواريا(٢٧)

وفى نظم هـذه الأبيـات ، ومعانيها ما يشى بأغوار نفس المتنبى يومئذ ، وأسرارها . فقد اعتمد « أسلوب التجـريد » وهو أن يخلص الشاعر الخطاب لغيره ، وهو يريد نفسه(٢٨) ، فقـال : « بك » و « تمنيتها » و « تـرى » و « تـرضى » و « تستعدّن » و « تستجيدن » .. فجعل الخطاب فى كل هذا لغيره ، وجـرد من نفسه نفساً يخاطبها ، والكلام فى الحقيقة لنفسه وعن نفسه .

---

(٢٧) الديوان : ٢٨١/٤ ، ٢٨٢ .
(٢٨) انظر : المثل السائر : ١٥٩/٢ .

وقد عمد في الابيات التي تلي هذه إلى ضرب آخر من التجريد فافرد قلبه ثم خاطبه خطاب من له رأى مخالف ، ومذهب مستقل . وفي الابيات أيضا التفات إلى سيف الدولة . وكان أكثر حديث نفس المتنبي قبل الاخفاق ، وما ترك في نفسه من الاثر = حديثا بضمير التكلم (أنا) ، وهو الآن يجرد من نفسه مخاطبا يخاطبه ، وكأنما صارت النفس نفسين ، وصار الرجل رجلين .

وهذا التجريد من الوجهة البلاغية اتساع في الكلام ، واقتدار على القول ، ولكنه من الوجهة النفسية دليل انقسام النفس . وانقسام النفس قد يطفو على سطح البنية الشعرية في صورة من صور الامتعاض من الذات ربما بلغ حد التقزز(٢٩) . ولهذا لم يعد أبو الطيب إلى التكلم ، ولم يدع التجريد إلا عندما انتهى به الحديث إلى ما يعده هو صفة من صفاته النفسية التي لم تهزم ، وهي الوفاء فقال :

خلقتُ ألوفاً لو رحلتُ إلى الصِّبا
لفارقت شيبي موجع القلبِ باكيا

وهو بيت واحد انتزع نفسه فيه انتزاعا ليدخل في المدح .

والمعاني التي اشتمل عليها ذلك المطلع تبدو جديدة على نفس المتنبي ، فالاستشفاء بالموت ، وتمنى المنايا ، والرضا بالعدو المداجي عند فقد الصديق الصدوق ليست من مألوف (معجم معاني شعر المتنبي) ، والعهد به أنه مستمسك للحوادث ، متجلد لزلازل الأيام ، تياه بنفسه يقول فيها ما يشتهي وما يحب ، وهو الآن كما ترى .

---

(٢٩) انظر : مقالا للدكتور عبد السلام المسدي في كتاب : المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس : ٢٤٦ .

وقد أشار ابن جنى إلى لطيفة فى قول المتنبى :

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلـــة

فلا تستعدن الحســـــام اليمـانيا

فقال : إن الشعراء يستخدمون الاستفهام فى هذا المقام ، ولكن المتنبى استخدم فيــه الشرط والنهى(٣٠) . وأنا أظن أن الاستفهام يعبر هنا عن درجة من درجات تماسك النفس ، أقوى مما يعبر عنه الشــرط والنهى ، لأن الاستفهام فى هذا المقــام أحمل للمعنى ، وأنفذ فيه .

ومعجم ألفاظ تلك الأبيات نافذ الدلالة إلى معانيها ، وانظر إلى ألفاظ : « الموت » و « المنــايا » و « عدواً مداجيــا » و « الطــوى » و « شاكيا » و « دموع » و « الأذى » .

وتلك المعانى والألفاظ ليست مما يستفتح به المدح ، ويستقبل به ممدوح أول ما يستقبل ، ولكن أبا الطيب وفى فى هذه الأبيات لنفسه لا لممدوحه ، واستجاب فيها لدواعى غنائه النفسى قبل دواعى رجائه ، والألفــاظ فى مثل هذا أوعيته المعــانى ، والألفــاظ والمعــانى مرأيا النفس ..

تلك هى القصيدة التى وثق فيها المتنبى حزنه الذى حمله معـــه من حلب ، تنفست فيها نفسه . وقد حــاول أن يكظم هــذا الوجــدان حتى لا يفسد عليه رجاءه فى مصر ، ولهذا لم يبدأ مصريته الثــانية التى قالها فى رجب سنة ٣٤٦هـ بغناء نفسى كسابقتها ، بل بدأها بمطلع من مطالع الصنعة ، وشعر الذكاء فقال :

إنمــا التهنئـــــات للأكفـــــاء

ولمن يدّنى من البعـــــــــداء

---

(٣٠) الديوان : ٢٨٢/٤ هامش البيت (٣) .

وأنا منك ، لا يهنىء عضـــــو

بالمسرات ســـائر الأعضـــاء(٣١)

وفرغ من القصيدة دون أن يضمنها شيئاً من غنـائه النفسى . ولكن لم تمض أربعة أشهر أو نحوها إلا وبدت لأبى الطيب مقدمات إخفـاقه فى مصر ، ودواعى حزنه فيهـا ، فوقع الحــزن على الحــزن والإخفاق على الإخفـاق ، أو قل : اجتمع فى الحــزن الواحد حــزنان ، وفى الإخفاق الواحد إخفاقان ..

هذا . وأبو الطيب يومئذ فى بدايات طلبـــه الولاية من كافور ، يتشبث فى رجـائه بالسبب الواهى ، ويفزع إلى الأمل الكاذب . ففى البائية التى قالها فى شوال أو انسلاخ رمضـان سنة ٣٤٦هـ يبدأ بأبيات فى التعلق بالحسن الأعرابى ، وينقله الحسن الأعرابى العـام إلى حسن خولة ـ على الأرجح ـ فيقول :

مَنِ الجـــآذر فى زىّ الأعـــاريب

حمرَ الحـلى والمطـايا والجـــلابيب

إن كنت تسأل شـــكا فى معـارفها

فمن بَلاك بتسـهيد وتعـــذيب ..

ســوائر ربمـــا ســـارت هوادجهـا

منيعة بين مطعون ومضروب..(٣٢)

وهذا التعلق بالحسن الأعرابى ، وهو فى حاضرة الفسطاط له وجه نفسى ، فهو يتلفت إلى ما ترك ، ويحن إلى ما خلف وراء ظهره ، ومن مذاهب المتنبى الشعرية والنفسية أنه لا يحن إلى ما مضى ، ولا يذكر الوطن إلاّ فى حالات ضيق النفس ، والضجر من مما هو فيه .

---

(٣٨) الديوان : ١/٣٢ .
(٣٢) الديوان : ١/١٥٩ ـ ١٦١ .

ومما يدل على وجود هذه « البصمة » النفسية فى هذا المطلع الغزلى الرمزى أنه يخرج منه إلى غنائه النفسى فيقول :

ليت الحوادث باعتنى الذى أخذت
منى بحلمى الذى أعطت وتجريبى
فما الحداثة من حلم بمانعة
قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب (٣٣)

يريد أن يسترد شبابه الذى ذهب ، ولو بذهاب ما اكتسب من العقل والحلم ، وهذا تعبير عن الحنين إلى الماضى ، والرغبة فى الفرار من الواقع . وهذا الحنين بصورتيه : الحنين إلى الطبيعة الأعرابية ، والحنين إلى الشباب يدلان على ما يملأ نفس الشاعر من الملل والسأم . ووازن بين ما يقوله هنا ، وبين قوله فى القصيدة السابقة :

خلقت ألوفا لو رددت إلى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

وبعد نحو شهرين يقوى إحساس المتنبى بأنه أخطأ الرأى فى قصده كافوراً ، وركب خطة خسف حين اختار مصر ، فيقول فى ذى الحجة سنة ٣٤٦هـ :

أود من الأيام مالا تـوده
وأشكو إليها بيننا وهى جنده
يباعدن حبًا يجتمعن ووصله
فكيف بحبٍ يجتمعن وصده
أبى خلقُ الدنيا حبيباً تديمه
فما طلبى منها حبيباً تردُّه

---

(٣٣) الديوان : ١/١٧٠ .

واســـرع مفعــول فعــلت تغيـــرا
تكلف شيء فى طباعك ضـــده ..(٣٤)

وهذا نقد حزين للنفس ، وإقرار بنوازعها الصعبة . لقد تكلفت شيئا فى طباعها ضده ، وتعمقت وفى التعمق الزلل . وهذا الذى تكلفته نفسه ، وتعمقت فيه هو رجـاء كافور ، وتوهمها أنهـا تبـلغ عنده ما لم تبلغه عند غيره من أحرار الملوك .

ويربط أبو الطيب منازعه الصعبة فى الحياة بطبيعته النفسـية فيقول : إنه ليس ممن يرضى بميسور عيشه ، ولا هو من أهل القنـاعة والدعة ، وإن له نفسـا تجشمه المراكب الصعبة ، وقلبـا يرمى به المرامى البعيدة :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه
ومركوبه رجـــلاه والثـــوب جـلده
ولكن قلبـــــا بـــين جنبى ما لـه
مدى ينتهى بى فى مـــراد أحــده
يرى جســـمه يكسى شـفوفا تربه
فيختار أن يكسى دروعـــا تهـــده
تكلفنى التهجـــــير فى كل مهمـه
عليقى مراعيـــه وزادى رــده(٣٥)

وهذا وصف للنفس والحياة ، وتأمل فى روافد الحـزن ودواعى الإخفاق .

وفى مطالع سنة ٣٤٧هـ وهو العام الثانى للمتنبى فى مصر يقوى

(٣٤) الديوان : ١٩/٢ .
(٣٥) الديوان : ٢٣/٢ .

في نفسه ثاني الحزنين : حزنه الذي يعود إلى محنته في مصر ، وخيبة رجائه فيما أمل فيها . وقد وثق هذا في مطلع الميمية التي قالها في ربيع الثاني من هذا العام ، وفيه يقول :

فــراق ومنْ فارقتُ غير مــــذمم
وأمٌ ومَنْ يممت خـــــيرُ ميمـــم
وما منــزل اللــذات عنــدي بمنــزل
إذا لـــم أبَجّل عنـــــــده وأكرّم
سـجيّةُ نفسي مـــا تــزال مليحةً
من الضيم مرميًا بهـــا كل مَخرَم .. (٣٦)

وهذا التقوى الظاهر في الأبيات . وما فيها من تلفت إلى حلب لا يخفى ما تطويه نفسه من الشعور بالإخفاق الحاضر ، وسوء المصير الذي صار إليه . لقد ذهبت عن نفس أبي الطيب سكرتها ، ورفعت عن عينيه غشاوتها ، فعرف أنه يرمي الآن في مصر بشر مما كرهه في حلب ، وأنه مقبل على فراق - وكثيرا ما تكون الكلمة الأولى في قصائد المتنبي مفتاح النص والنفس معاً . وهذا محتاج إلى بحث مفرد - ولهذا قال بعد أبيـــات :

وأهوى من الفتيـــان كل ســميدع
نجيب كصـدر السـمهري المقـــوّم
خطت تحته العيسُ الفلاةَ وخالطت
به الخيل كبـات الخميس العرمرمَ

(٣٦) الديوان : ١٣٤/٤ . ومليحة : مشفقة ، والمخرم : الطريق في الجبل .

ولاعِفَّة فى سـيفه وسـنانه
ولكنها فى الكف والفرج والفم(٣٧)

وهذا انكار للمصير ، وإرهاص بالانتقال . وكثيرا ما يجمجم أبو الطيب بمثل هذا فى اختياراته ، وانتقالاته عن منازل السوء .

وقد يبدو غريبا أن يختم المتنبى القصيدة بضراعة لا تلتئم مع ما سبق من غنائه النفسى فيقول :

ولو كنت ادرى كم حيـاتى قسمتها
وصيَّرت ثلثيها انتظـارك فاعلم
ولـكن مـا يمضى من العـمر فـائت
فجـدلى بحـظ البـادر المتغنم
رضيت بما ترضى به لى محبـة
وقدت إليك النفس قَوْد المسلمِّ(٣٨)

ولسنا فى مقام من يحاكم أبا الطيب أخلاقيا فيحق لنا أن نحكم له أو عليه ، ولكنا فى مقـام التاريخ الوصفى لنفسه كيف كانت . وشعر المتنبى يدل على أنه لم يخلع عن نفسه ثوب الأمل الكاذب ، والرجـاء العقيم إلا فى نحو منتصف سنة ٣٤٨هـ ، وهو عامه الثالث فى مصر . أما قبل هذا التاريخ فما من قصيدة عبرَّ فيها عن إخفاقه ، وأبدى أجنة حزنه إلاَّ وفيها بيت او أكثر يتعلق فيه بالسبب الواهى ، والأمل الكاذب فيطلب الملك والولاية .. وقد تتبعت هذا فى الفصل السابق .

ولهذا كان من السمات الظاهرة فى قصائد أبى الطيب المصرية فى هذه المرحلة انهـا قسمان متباينان أو كالمتباينين : مطلع ، ومتن فالمطلع

(٣٧) الديوان : ١٣٦/٤ ، ١٣٧ .
(٣٨) الديوان : ١٣٢/٤ .

غنـاء نفسى يدل على نفس كارهة لمـا هى فيـــه ، ضـــائقة بما انتهت إليـه ، ثم ينتزع الشـاعر نفسـه ليدخـل فى متن النص وهو المدح ، والأغلب عليـه أن ينـازع الشاعر فيه نفسه ، ويحمل على طبعه ولهذا يعود فيه أحيـانا إلى غنـاء وجدانى كالذى اشتمل عليه المطلع .. فاذا طمع الشاعر ، وربمـا فربما خـدع نفسـه حتى جـاء بالمـدح الخالص .

وفى شوال سنة ٣٤٧هـ انشد المتنبى بائيته التى مطلعها :

أغالبُ فيك الشـوق والشـوق أغلب

وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب (٣٩)

وهو « وثيقة » نفسية دالة ، تقع موقعـاً فصلا من تاريخ نفسـه فى مصر . وإذا صحّ ما قلت من أن اللفظ الأول فى قصـائد المتنبى كثيرا ما يكون مفتـاح الندر والنفس معـا فإن المتنبى كان يومئذ فى حـال معـالبة ومجاذبة نفسية .

وعبارة « أغالب » فيك الشوق » مما يتسع فيه التأول ، فيجـوز أن يكون المعنى أنه يغالب شوقه إلى البقاء عنده .. هذا إذا كان المخاطب بـ « فيك » هو كافور ، وقد يكون غير كافور كسيف الدولة أو خـولة مثلا . وقد يرجح هذا أن بين المطلع وبين المدح ستة عشر بيتا ، وأن المتنبى يجعل المطلع - فى الغالب - لنفسه وهمومها .

ومهما يكن المعنى الذى يتأول عليـه الكلام ، فهو حـديث نفس مكروبة ، وصـدر ثقيل ما يحمله ، وقلب تتغالب فيه المعانى ، وتتنازع

---

(٣٩) الديوان : ١٧٦/١

فيه النفس واللسان ، والوجدان والبيان . فالنفس والوجدان تثقلهما الهموم ، واللسان والبيان يقيدهما الرجاء .

وفى البيت التالى تغلب معانى النفس فيقول :

أما تغلط الأيام فىّ بان ارى
بغيضا تنائى أو حبيبا تقرّبُ ؟

وهذا البيت إذا وضع بازاء بيت المطلع الذى قبله كان انتقالا فى المعنى وفى الوجدان ، وهو من فرائد الغناء الذى فاضت فيه نفس المتنبى ملتفتة عن سياق المدح وعن كافور إلى المتنبى نفسه ، ومحنته ، وإذا علمت انه قال هذه القصيدة بعد أن أهدى إليه كافور ستمائة دينار ذهبا علمت أن الذى كان فى نفسه يومئذ لم يكن ليدفعه شيء ، أو يقمعه شيء .

ومما يدل على وقوع هذه القصيدة موقعا فصلا من تاريخ محنة أبى الطيب فى مصر أنه لم يكد يبدؤ المدح حتى قطعه بأبيات من الغناء النفسى الحزين فقال :

يضاحك فى ذا العيد كل حبيبه
حذائى وابكى من احب واندبُ
احن إلى أهلى وأهوى لقاءهم
واين من المشتاق عنقاء مغرب

ثم يعود بعد هذا إلى مدح فاتر مغسول إذا قيس بالمدح قبله ، ومع هذا فإن المتنبى يعود إلى طلب الولاية فى هذه القصيدة فيقول :

ابا المسك هل فى الكاس فضل أنا له
فإنى اغنى منذ حين وتشرب
وهبت على مقدار كفىّ زماننا
ونفسى على مقدار كفيك تطلب

إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية

فجودك يكسونى وشغلك يسلب(٤٠)

وهذه أبيات دالة على تضعضع نفس المتنبى ، وعلى أن أمله فى الولاية قد استرقّه ، وساقه سَوقَ الحطيئة . وما أعجب أن يجعل الكأس صورة للملك ، وأن يكون كافور الشاربَ الريان ، ويكون المتنبى ذلك التيّاه الثائر ، والأبىّ النافر بمنزلة الظمآن الذى ينتظر السؤر ، ويشتهى فضالة الكأس !!

ولا ريب فى أن أبا الطيب كان يغالب فى هذا نفسه ويحمل على طبعه ، ويعطى من لسانه لا من قلبه ، وقد حكى ابن جنى عن المتنبى رواية نفسه ـ لا لسانه ـ للبيت الثانى من الأبيات السابقة فقال : كنت إذا خلوت أنشدت :

وهبت على مقدار كفيك عسجداً

ونفسى على مقدار كفّىّ تطلب(٤١)

ولا ريب أيضاً فى أن الصورة مبنّاها على التهكم والتندر ، ولكن هذا لا يخفى ما فيها من الدلالة على اليأس والأسى . وأبو الطيب لم يقل هذا القول يوم ضغطة السجن ، وعضة القيد ، بل جعل البرّ يومئذ بمنزلة الجيفة ، وجعل نفسه بمكان الأسد الذى لا يرضى لنفسه طعام الجيف إلا مكرها فقال بسجانه :

غير اختيار قبلت برك بى والجوع يرضى الأسود بالجيف

وهو الآن يقول : « هل فى الكأس فضل أنا له » وهذا دليل على أنه كان من يأسه وإخفاقه فى مصر فى سجن أقسى من السجن ، وقيد آلم من القيد .

---

(٤٠) الديوان : ١/١٨٢ .
(٤١) انظر : معجز أحمد : ٤/١٠٨ .

وفى نهاية سنة ٣٤٨هـ تداعت نفس المتنبى وتهدمت فتداعى لها الجسم وتهدّم(٤٢) ، فأصابته الحمى فقال فيها قصيدته السيّارة فى ذى الحجة من هذا العام ، وهى من أقوى الوثائق النفسية فى مصريات المتنبى .

والقصيدة(٤٣) قسمة بين التعبير عن « حمّى النفس » ، والتعبير « حمّى الجسم » . انظر إلى قوله :

أقمت بأرض مصر فلا ورائى ... تخبّ بى المطىّ ولا أمامى
وملنى الفراش وكان جنبى ... يمل لقاءه فى كل عام
قليل عائدى سقِم فؤادى ... كثير حاسدى صعب مرامى

= ثم إلى قوله بعده :

وزائرتى كأن بها حياءً ... فليس تزور إلاّ فى الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا ... فعافتها وباتت فى عظامى
يضيق الجلد عن نفسى وعنها ... فتوسعه بأنواع السقام ...

فالأبيات الأولى أصدق إحساساً ، وأصحّ بيانا من الثانية ؛ لأنه عبرّ فى الأولى عن حمّى نفسه ، ومحنتها ، وإن كان جعل الحمى امرأة زائرة فى الأبيات الثانية لا يخلو من دلالات حزينة . وعندما عاد أبو الطيب إلى بيان مرض نفسه عاد إليه عمق الاحساس ، وصحة البيان فقال :

أبنت الدهر عندى كل بنت ... فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجرحا لم يبق فيه ... مكان للسيوف ولا السهام ..

---

(٤٢) ممن أشار إلى هذا المعنى الدكتور مبحى الكعبى فى : المتنبى مالىء الدنيا ... : ١٢٧ ، وعصام كمال السيوفى : الانفعالية والابلاغية فى البيان العربى : ٢٦ . وانظر : الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى للدكتور طه أبو كريشة : ١٠٦ .
(٤٣) الديوان : ٤/١٤٥ - ١٤٩ .

وقد ذكر القاضى الجرجانى ان المتنبى اعطى فى هذه القصيدة نفسه ، واتكأ فيها على قلبه ولسانه ، وتنكب معانى عبد الصمد بن المعذل الذى سبقه إلى وصف الحمى ، ولم يلم بشىء منها(٤٤) . وهذا من الادلة على ان هذه القصيدة بضعة من نفس المتنبى قبل ان تكون قطعة من شعره وفنه .

وكان عام ٣٥٠هـ عام حزن المتنبى فى مصر ، كما كان عام ٣٤١هـ عام حزنه فى حلب . وفى ذلك العام لاح لأبى الطيب إخفاقه ، ومات رجاؤه ، فكان من اقسى محطات حزنه .

ففى شوال من هذا العام قال قصيدته العينية فى رثاء فاتك ابى شجاع ، ورجح الدكتور النعمان القاضى ان يكون ابو الطيب قالها سنة ٣٥١هـ بعد مهربه من مصر . ولكنى ارجح ما قاله الواحدى من ان المتنبى انشاها عقب وفاة فاتك ، ثم كتمها ، وقد بقى فى مصر بعد موت فاتك نحوا من شهرين .

ويرجح تاريخ الواحدى انه تجلى فيها تيار الحزن ، ونزعة اليأس اللذان غلبا على نفس المتنبى فى أيامه الأخيرة فى مصر . ومطلع القصيدة :

الحـزن يقلق والتجمل يردع
والدمع بينهما عصىّ طيّع
يتنازعان دموع عين مسهّد
هذا يجىء بها وهذا يرجع(٤٥)

ومعانى هذين البيتين ، ومعجمها اللفظى دالان ابلغ دلالة على ما يؤود نفس الشاعر ، ويثقلها .

---

(٤٤) انظر : الوساطة ١٠٦ .
(٤٥) الديوان : ٢/٢٦٨ .

وقد تأملت الأبيات التي رثى فيها المتنبي فاتكا ، وما تضمنته من الحزن الصادق ، والإحساس الحاد بالفقد فقوى في نفسي أن أبا الطيب كان وهو يرثي صديقه الذي رحل كأنه يرثي نفسه التي فقدها ، وأمله الذي حُرمه . وكان المتنبي وفاتك يجمعهما يومئذ أمر واحد هو بغض كافور ، وتمني الوثوب إلى مكانه .

وكانت خاتمة المطاف داليته التي قالها قبل رحيله عن مصر بيوم واحد ، واستقبل فيها العيد الذي تسر فيه النفوس بنفس قانطة ، كارهة لكل شيء حولها ، فقال :

عيد بأية حال عدت يا عيد
بما مضى أم بأمر فيك تجديد
أما الأحبة فالبيداء دونهم
فليت دونك بيدا دونها بيد (٤٦)

وما ظنك بما انطوت عليه نفس تضيق بالعيد ، وتكره لقاءه ؟

★ ★ ★

هذا هو إخفاق أبي الطيب في مصر . وهذا هو حزنه كما دل عليه شعره الذي تنفست فيه نفسه . وإذا كان مرجع حزنه في مصر إلى خيبة أمله فيما أمّل من الولاية ، فإن ما في شعره من الحزن والشكوى هو في حقيقة الأمر محصلة إخفاقه فيما مرّ من حياته كلها

وقد بدا لي من تتبع شعر المتنبي أن هذا الرجل الذي بنيت نفسه على التجلد والتماسك لا يُفْرِغ إناء حزنه دفعة واحدة ، بل يخرج منه في وقت شدائده أشياء ، وتبقى منه بقية تتلبس بمقامات أخرى . فقد رأيته مثلا حين ماتت جدته . أمّه بعد أمّه ، ومرضعة قلبه وعقله

---

(٤٦) الديوان : ٢/٣٩ .

يذهب مذهبا غريبا فى التجلد والتماسك ، فيرضى الفخر أكثر مما يرضى الرثاء ، ويعطى لنفسه من الحظ أكثر مما أعطى جدته ، حتى ليغلب فخره حزنه ٠٠٠٠ ثم رأيته بعد سنوات يرثى أم سيف الدولة رثاءً حاراً ، ويبكيها بدموع من القلب قبل العين فيقول :

نصيبك فى حياتك من حبيب
نصيبك فى منامك من خيال
رمانى الدهر بالأرزاء حتى
فؤادى فى غشاءٍ من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهامٌ
تكسرت النصال على النصال ٠٠(٤٧)

فقوى عندى أن حزنه فى هذه الأبيات بقية من حزنه على جدته تنفست فى هذا الموضع ٠ وقد رأينا فيما سبق أنه عبر عما بقى فى نفسه من الحزن على مصابه فى حلب فى أول قصيدة لقى بها كافوراً ، وفى قصائد بعدها ٠

- ٤ -

بقى ان ننظر فى أسباب إخفاق أبى الطيب فى مصر ٠ أما هو فيرد ذلك إلى الزمان الذى عانده ، والحياة التى مطلته ، وإلى الحساد والواشين الذين زعم أنهم سبقوه إلى كل طريق سلكها وإلى كل غاية تغياها ، وأرصدوا له فى مجلس كل أمير رحل إليه ، وكان أبو الطيب عظيم الاحساس بما فى الزمان من فساد ، وبجناية الحسد والوشاية على ذوى المطامح البعيدة ، والهمم العالية ٠

---

(٤٧) الديوان : ٣/٩ ٠

ولكنى أرى أن أقوى أسباب إخفاق أبى الطيب كانت من نفسه ، وأن أعدى أعدائه دون بلوغ ما أمل كان (الذى بين أضلعه) ، و (الذى بين لحييه) . فقد كان أبو الطيب صاحب ضجرات ، ووثبات واختيارات تقطعه عن أن يتم عزما عقده ، أو يبلغ غاية عمل لها ، وقد حدث بهذا حين قال لابن العميد - لما زين له القدوم على عضد الدولة - : إنى ملقى من هؤلاء الملوك ، اقصد الواحد بعد الواحد ، وأملكهم شيئا يبقى ببقاء النيرين ، ويعطوني عرضا فانيا . ولى ضجرات واختيارات فيعوقوننى عن مرادى ، فاحتاج إلى مفارقتهم على اقبح الوجوه(٤٨) .

وهذا أبلغ وصف لحال أبى الطيب : قلبه ونفسه ، فهو لم ينضج سعيا سعاه ، ولا أتم حيلة احتالها ، ولا أحكم أمرا بداه . وقد نبه العقاد على هذا المعنى فقال : إن المتنبى كان يشعر شعور عظماء الرجال ، ورجال الأعمال العظيمة ، ويقيس الأمور كما يقيسونها ، ويلزم نفسه الجد الذى يلتزمونه ، ويساوره ما يساورهم من المطامع ، ولكنه لا يتم الأمور كما يتمونها ، ولا يسوس الحوادث كما يسوسونها(٤٩) .

وهذه طبيعة ذلت لو مر معها أبو الطيب على ملوك الأرض قاطبة ما رضى عن واحد منهم قدام رضاه ، أو حمده حمدا لا يؤول إلى ذم .. ومن ضاقت به حلب كيف يسعه ما عداها من البلاد ، ومن مل مجلس سيف الدولة كيف يطيب له مجلس من دونه من الملوك ...

وقد فسر بعض القدماء والمحدثين ضجرات أبى الطيب أقبح تفسير فسروها بفساد القلب ، وقلة الوفاء ، والشره إلى المال ، والاتجار

---

٤٨) نقلا عن : ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : ١٧٢ .
(٤٩) مطالعات فى الكتب : ١٨٦ .

القبيح بالشعر(٥٠) . ولكنى أظنها من الطبائع النفسية التى كان الرجل لا يملك لها دفعا ، ولعله كان فى بعض الأحوال يروض نفسه على تركها ، والانتقال عنها ، ولكنها أعجزته . وقد كان يراها تذهب بآماله ، وتعصف برجائه ، وتركبه المراكب الصعبة .. ولكن تأبى الطباع على الناقل .

وأما أن لأبى الطيب من لسانه عدوا . فأبو الطيب مثال للرجل الذى رفعه لسانه ، ثم حرمه لسانه ، ثم قتله لسانه .. وكان أبو الطيب إذا ألح عليه رجاؤه حاول أن يقمع نفسه ، ويحمل على طبعه لكنه لا يلبث أن يقذف على لسانه بما ينقض احتياله ، وحسن تأتيه .

ظل دهرا يجهر بتقتيل الملوك ثم يجد نفسه واقفا بأبوابهم ، طامعا فى بعض ما فى أيديهم . ويزعم أنه سيسفك دم الحواضر والبوادى ورزقه من التنقل بين البوادى والحواضر ، ويقول فى كافور : ما لى وللعبد ، وهو يعلم أن أمره منته إليه ، وحين أرسل عضد الدولة فى طلبه قال : ما لى وللديلم(٥١) . ثم قصد الديلم .

ورغم أن أبا الطيب ألح فى رجائه من كافور ، واجتهد أن يحتال له بما يجعله يحقق له أمله .. إلا أنه كان فى الحقيقة ينازع نفسه فى هذا ، ويحمل على طبعه ، ويكلفه شيئا فيه ضده ، وقد لخص هو هذا الأمر أبلغ تلخيص فى قوله :

---

(٥٠) راجع تفسير الخوارزمى فى : النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى : ٣١٩/٢ ، وتفسير محمد مظهر سعيد فى مقال نفسية المتنبى من كتاب : أبو الطيب المتنبى حياته وشعره : ٩٦،٩٧ .

(٥١) نقلا عن : ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام : ١٧٢ .

واسرع مفعول فعلت تغيرا
تكلف شىء فى طباعك ضده(٥٢)

والخلاصة : أن اخفاق أبى الطيب فى مصر وفى غيرها كان من نفسه قبل أن يكون من خارجها .. فهو رجل خلق للسمو والإخفاق معاً ، واكتملت فى نفسه دواعيهما ..

* * *

(٥٢) الديوان : ١٩/٢ .

الفصل الثالث

شِفاءُ النفسِ

كـم قـد قتلتُ وكم قدمتُ عندكـم
ثم انتفضت فـزال القـبر والكفـن

ديوان المتنبي : ٤/٢٣٥

- ١ -

لما عظمت محنة أبي الطيب فى مصر ، وغلب يأسه أمله ، وإخفاقه رجاءه ، وأيقن بالحرمان انكسرت نفسه انكسارها الأكبر ، فتبدلت بعض طبائعه المتأصلة ، وتغير بعض ما كان مطردا من معانى شعره ، ومطامح نفسه ·

سكت بعد مصر عن سؤال الإمارة ، وطلب الملك بعد ما أخذ يلح فى طلبهما زمنا ، ويجد فى أثرهما حينا من الدهر · وقد تصفحت شعره الذى قاله لابن العميد ، وعضد الدولة ، فما رأيته يذكر الإمارة فى مدائحه لهما ، ولا يطلبها منهما كما كان يطلبها من كافور قبل أن ييأس منه ويقنط · بل وجدته يقول فى قصيدة مدح بها عضد الدولة ومطلعها :

أوه بديل من قولتى واها
لمن نأت والبديل ذكراها

= إن حسبه من الإمارة أن يكون مادح عضد الدولة ، وراجى عطائه، ومن الملك أن يكون واصل حباله بحباله ، وإنه إن فعل هذا كان كواحد من الملوك ، وذلك فى قوله :

ول" السلاطين من تولاها
والجأ إليه تكن حدياها(١)

وليس هذا مما كان يرضى أبا الطيب فى مصر ، أو قبلها ·

وكان المتنبى عند سيف الدولة تياها على الشعراء والعلماء ،

---

(١) الديوان ٤/٢٨٠ ·

مغاضبا لهم ، ولكنه فى مصر وبعدها ترك هذا إلا قليلا(٢) ، مع أن مجلس كافور كان عامرا بالعلماء والأدباء(٣) .

ولعل أبا الطيب الذى ابتلى بالعداوة والتحاسد فى حلب ، وجنى منهما ما جنى من مر الثمر نفعه ما علم ، ورأى أن لا يعيد فى الفسطاط ما وقع له فى حلب .

وتخفف أبو الطيب من إعلان مقته للعجم ، وثورته عليهم. فقد ظل ردحا من الزمن فى حلب وقبلها يغلو فى التعصب للعرب ، ويشتد فى بغض العجم ، ويجهر جهرا لا روية فيه بالدعوة إلى قيام دولة العرب وملك العرب ، وسقوط دولة العجم ، وملك الخدم ، وشعره فى هذا كثير ، من أشهره قوله من قصيدة فى مدح على بن إبراهيم التنوخى ، وقد بداها بنفسه قبل الممدوح :

وإنما الناس بالملوك وما
يفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب
ولا عهود لهم ولا ذمم
فى كل أرض وطئتها أمم
ترعى بعبد كأنها غنم
يستخشن الخز حين يلبسه
وكان يُبرى بظفره القلم !!(٤)

وقال فى القصيدة هجا فيها ابن كيغلغ :

---

(٢) انظر : أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين ٣٠٨ .
(٣) انظر : الصبح المنبى : هامش ص ٩٨ .
(٤) الديوان ٥٩/٤ .

أفعــال مــن تلــد الكــرامُ كريمــةً

وفعــال مــن تلــد الأعاَجم أعجــمُ

وقال العكبرى فى شرح هذا البيت : « والأعاجم عند العرب لئام، وهم يسمون من لم يتكلم بلغتهم أعجم »(٥) .

فأبو الطيب يرى أن الأعاجم لئام ، وأن الناس بملوكهم ولا صلاح لعرب يملكهم عجم ، ويوشك هذا المعنى من كثرة ما أفصح عنه ، وكرره فى شعره أن يكون من جملة عقائده الفكرية .

ولكنه سكت فى مصر وبعدها أو كاد عن ذم الأعاجم ، وإعــلان المقت لهم ، ومدح ستة منهم بعد أن ترك حلب أغدق عليهم من معانى المدح وهــم : كافــور ، وأنجــور ، وفاتــك ، ودلير بن لشــكروز ، وابن العميد ، وعضد الدولة(٦) .

قال فى فاتك :

قــد كان فيــه لــكل قــوم ملجــأ

ولســيفه فى كل قــــوم مرتــعُ

إن حــلَّ فى فرس ففيهــا ربهــا

(كسرى) تذل لــه الرقــاب وتخضع

أو حــلَّ فى روم ففيها (قيصــر)

أو حــلَّ فى عرب ففيهــا (تبــعُ)(٧)

هذا يقوله فى عبد رومى .

وفى القصيدة(٨) التى قالها بعد أن ترك مصر إلى الكوفة ، ومدح

---

(٥) الديوان ٤/١٣٢ . وهامشها .
(٦) انظر : المتنبى فى مصر والعراقين ٣٩٩ .
(٧) معجز أحمد ٤/٢٣٠ .
(٨) الديوان ٣/٢٨٩ - ٢٩٩ .

فيها دلير بن لشكروز الفتى الديلمى ، أسرف فى رفعه وتعظيمه إسرافا يعسر تفسير ظاهره . فقد نجمت فتنة فى الكوفة ، أثارها خارجى من بنى كلاب ، فنهض له أهل الكوفة ، ثم وصل دلير الديلمى بعد أن سكنت الفتنة ، وانقلب الخارجى مكسورا . وهذا يعنى أنه لم يكن للديلمى فى رد الفتنة سيف ولا رمح . ولكن المتنبى يسرف فى مدحه فيزعم أن النصر تحقق بذكر اسمه ، ويدعى أن ذكره قام مقام النصول القواطع، ويثنى على فتنة أتت به فيقول :

فلا عدمت أرض العراقين فتنة
دعتك إليها كاشفَ الخوف والمحْل

ظللنا إذا أنبى الحديدَ نصولنا
نجرّد (ذكرا) منك أمضى من النصل

ونرمى نواحيها من (اسمك) فى الوغى
بأنفذ من نشابنا ومن النبل

فإن تك من بعد القتال أتيتنا
فقد هزم الأعداءَ (ذكرُك) من قبل

ويقول فيه أيضا :

وأهدت إلينا غير قاصدة به
كريم السجايا يسبق القول بالفعل

تتبّع آثار الرزايا بجوده
تتبّع آثار الأسنّة بالفتل

شفى كل شاك سيفه ونواله
من الداء حتى الثاكلات من الثُكل

عفيف تروق الشمسَ صورة وجهه
ولو نزلت شوقا لحاد إلى الظل

شجاع كان الحرب عاشقة له
إذا زارها فدّته بالخيل والرّجل

وريّان لا تصدى إلى الخمر نفسه
وعطشان لا تروى يداه من البذل

فتمليك دلير وتعظيم قدره
شهيد بوحدانية الله والعدل ...

فلا قطع الرحمن أصلا أتى به
فإنى رأيت الطيب الطيب الأصل

ويعبر المتنبى فى هذه القصيدة عن شغفه بلقاء الديلمى ، ويقول: إنه ليس ممن يعتذر عن لقائه بالشغل – وكان قبل يدعى إلى من فوقه فلا يجيب ، ويمر بمن هو خير منه فلا يلتفت إليه – فيقول :

ولو لم تسر سرنا إليك بأنفس
غرائب يؤثرن الجياد على الأهل

وخيل إذا مرّت بوحش وروضة
أبت رعيها إلا ومرجلنا يغلى

ولكن رأيت الفضل فى القصد شركة
فكان لك الفضلان فى القصد والفضل

وليس الذى يتبع الوبل رائدا
كمن جاءه فى داره رائد الوبل

وما أنا ممن يدّعى الشوق قلبه
ويحتج فى ترك الزيارة بالشغل

ومعانى المدح فى هذه الأبيات والتى قبلها خير من بعض ما قاله أبو الطيب فى العرب الخلص ، وأحرار الرجال ، وخلاف ما كان يقوله قبل في ملوك الأعاجم ، وأمرائهم .

وقد لاحظت ان ابا الطيب لم يذكر فى هذه القصيدة بلاءه فى رد الخارجى - وكان ابلى فى ذلك - ، ولا بلاء من ابلى من عرب الكوفة وأعرابها ... وعجيب الا يفخر ابو الطيب بنفسه فى هذا الموقف، وهو الذى ملأ الدنيا فخرا يوم قتل عبدا من غلمانه فى مهربه من مصر . والأعجب انه لا يجعل مخاطرته بحياته فى هذه الفتنة درء عن حوزة الإسلام ، ولا دفاعا عن وطنه الكوفة ، ولا تحصيلا للمجد وسعيا إلى العلا ، ولكن ثمنا لاكرام الديلمى له ، ولقاء هدايا نالها منه ، فيقول :

حذرت علينا الموت والخيل تلتقى
ولم تعلمى عن أىّ عاقبة تجلى
فلست غبينا لو شربت منيتى
بإكرام دلّير بن لشكروزّ لى
يمرّ الأنابيب الخواطر بيننا
ونذكر إقبال الأمير فتحلو لى
ولو كنت أدرى أنها سببٌ له
لزاد سرورى بالزيادة فى القتل

وفى إحدى مدائحه لابن العميد يقول :

مَنْ مبلغٌ الأعراب أنى بعدها
شاهدت رسطاليس والإسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافنى
من ينحر البدَر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه
متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما
رد الإله نفوسهم والأعصرا(٩)

---

(٩) الديوان ٢/١٧٠ .

وفى قصيدة أخرى مدحه بها ، وهناه بالنيروز يقول :

جاءَ نيروزنـــا وانـت مـــراده
ووَرت بالـــذى أراد زنـــادُه

ما لبســـنا فيـــه الأكاليـــل حتى
لبســـتها تلاعـــه ، ووهـــاده(١٠)

فهو يزعم : إن وقوفه على علم ابن العميد ، وجوده هون عنده أمر من عرف من الأعراب ، وزهده فى جودهم ، ويجعل نيروز الفرس نيروزه فى قوله : (جاء نيروزنا ٠٠) ، ويعد نفسه فيمن لبس الأكاليل فى قوله : (ما لبسنا فيه الأكاليل ٠٠) ٠

وإذا قيس ما قاله المتنبى هنا فى فاتك ، ودلير ، وابن العميد بما كان يقوله قبل فى دولة العجم ، وملك العجم ـ كان دليلا واضحا على تحول فكر أبى الطيب ونفسه فى هذه المسألة ٠

وقد يفسر مدحه لكافور الأعجمى ، وسكوته عن ذمه ـ أول الأمر ـ بالإحتيال عليه ، وحسن التأتى لآماله عنده ، ولكن أيصلح هذا الوجه تفسيرا لمدح من مدحه من الأعاجم غير كافور ؟ يرى الشيخ محمود شاكر أن المتنبى مدح من مدح من الأعاجم ليستخرج بعض ما فى أيديهم من المال الذى غلبوا العرب عليه ، وليكون على مقربة من دسهم ، وما يضمرونه لأمته من المكر السىء(١١) ، فيجعل مدحه للأعاجم جميعا احتيالا ، وحسن تأت ٠ ويرى الدكتور محمد يوسف نجم أن ثورة أبى الطيب على الأعاجم كانت رد فعل لموقف قوم من الأعاجم ، كانوا يودون أن يدال لهم من دولة العرب ٠ وقد قيل إن مردا ويح بن زياد رأس الدولة الزيادية جعل شعاره : « أنا أبطل دولة العرب ، وأرد دولة

---

(١٠) الديوان ٢/٤٧ ، ٤٨ ٠
(١١) انظر : المتنبى ١/١٨٢ ٠

النجم »(١٢) . وهذا التفسير يجعل غضبة المتنبى على الأعاجم من باب دفع الشر بمثله ، « ومداواة الداء بالداء » وكلا الرأيين يجعلان موقف المتنبى من الأعاجم موقفا فكريا .

وغير بعيد أن يكون بعض رأيه فى الأعاجم خاضعا لهذا التفسير أو ذاك . ولكنى أراه موقفا نفسيا أكثر منه موقفا عقليا ، فهو متصل بطموحه وآماله ، خاضع لأطوار نفسه وأحوالها .

وقد يقال : إن مدحه من مدح من الأعاجم من كلام اللسان وخيالات البيان ، لا من حقائق النفس وعقائد الفكر ، ولكن هذا لا يبطل أصل القضية لأن المتنبى كان ينفر منه قبل محنته فى مصر ، ثم هو يروض نفسه عليه فى مصر وبعدها ، فيبقى الأمر محتاجا إلى تفسير مقبول لهذا التحول فى معانى الشعر والنفس .

ومن التحولات فى نفس المتنبى وشعره بعد محنته فى مصر أن الغالب عليه قبل مصر أنه رجل يسابق نفسه إلى ما تدعوه إليه ، ويرمى بها إلى حيث رمت به ، ولا يسائلها عن شىء مما جمحت إليه . ثم صار الأغلب عليه بعد إخفاقه أنه يتأمل فى نزعات نفسه ، وينتقد جموحها، وركوبها المشاق . وقد يسأل نفسه عما عادت عليه به كثرة الأسفار ، والضرب فى البلاد ، ومن أمثلة ذلك قوله فى مسيره من مصر :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم
وما سراه على خف ولا قدم

---

(١٢) انظر : مقال من خلاص الفرد إلى خلاص الجماعة فى كتاب : المتنبى مالىء الدنيا ص ٣٩ .

ولا يحسُّ بأجفان يحس بها
فقدَ الرقاد غريب بات لم ينم

تسوِّد الشمس منا بيض أوجهنا
ولا تسوِّد بيضَ العذْرِ واللمَمِ

وكان حالهما في الحكم واحدة
لو احتكمنا من الدنيا إلى حكَمِ(١٣)

فهو يقول هنا : حتام أسارى النجم فاتعب ، ولا يتعب ، وكان قبل يقول :

تحقر عندى همتى كل مطلب
ويقصر في عينى المدى المتطاول(١٤)

- ٢ -

هذا الذى أصاب نفس المتنبى بعد إخفاقه في مصر غير من لهجته، وتركه نهبا لإحساس ممض من اليأس ، والحزن ، والانكسار ، والاستخزاء ، بقى يعمل عمله نفسه ، حتى إنه ليقول في قصيدة مما مدح به ابن العميد : إنه لم يبق منه إلا غيظ على الأيام يستعر استعار النار في الحشا ، ولكنه كغيظ الأسير على قيوده لا هو يفكها عنه ، ولا يلين مسها ، يقول :

ومنْ لى بيوم مثل يوم كرهته
قربتُ به عند الوداع من البعدْ

وانْ لا يخص الفقد شيئا فإننى
فقدت فلم افقد دموعى ولا وجدْى

---

(١٣) الديوان ٤/١٥٥ .
(١٤) نفسه ٣/١٧٥ .

تمنٍّ يلذ المستهام بمثله

وإن كان لا يغني فتيلا ولا يجدي

وغيظ على الأيام كالنار في الحشا

ولكنه غيظ الأسير على القدّ(١٥)

فهو يتمنى يوما مثل يوم كرهه ، ويود لو سارت فيه الأيام سيرة عدل فلم تفقده ما أحب ، وتبقى له ماكره . ويعترف بأن أمانية لا تغنى فتيلا ، وأن غيظه على الأيام لا ينفعه شيئا . وتأمل الفرق بين قوله هذا وقوله قبل ذلك : إن همته تحقر عنده كل مطلب - وقد تقدم البيت - ، وقوله قبل :

ليس التعلل بالآمال من اربى

ولا القناعة بالإقلال من شيمى(١٦)

وقوله :

إذا صديق نكرت جانبه

لم يعيني في فراقه الحيل

في سعة الخافقين مضطرب

وفي بلاد من أختها بدل(١٧)

والفرق بين هذين الشعرين هو الفرق بين حالتين من نفس أبى الطيب .

ولكن أبا الطيب لم يسلم نفسه ليأسها وانكسارها ، بل أجتهد في أن يتماسك ، ويستقوى ، ويستشفى مما به ، وتجلى ذلك أكثر ما تجلى

---

(١٥) الديوان ٢/٦٠ ، ٦١ .
(١٦) نفسه ٣٩/٤ .
(١٧) الديوان ٢١٢/٣ .

فى هجائه المر لكافور ، وفخاره الجريح بنفسه ، وغنائه الوجدانى الحزين .

اما هجاؤه لكافور - بعد ما يئس منه ، وخاب رجاؤه لديه - فهو شفاء نفس ، لم يرم مهجوا غيره بمثل ما رماه به ، ولا هجا ملكا قبله ، ولا بعده بمثل ما هجاه به . رماه ابو الطيب بكل ما فى نفسه من مرارة وغيظ ، فاسرف إسرافا شديدا ، واقذع إقذاعا كان مثله حريا بأن ينزه منطقه عنه ، ومما قال فيه قوله :

ونـام الخويـدم عن ليلنـا
وقـد نـام قبـل' عمـى" لا كـرى

وكان عـلى قربنـا بيننـا
مهامـه' مـن جهلـه والعمـى

لقـد كنت احسب قبـل الخصـى
ان الرءوس مقـر النهـى

فلمـا نظـرت إلى عقلـه
رايـت النهى كلهـا فى الخـصى (١٨)

وقـال :

نويبيـة لـم تـدر ان بنيهـا النـو
ويى بعـد اللـه يعبد فى مصـر

ويستخدم البيض الكواعب كالـدمى
وروم العبدى والغطارفـة الغـر

قضـاء مـن اللـه العـلى إرادة
الا ربمـا كانت إرادتـه شـر !!!

وللـه آيـات وليسـت كهـذه
اظنـك يا كافـور آيتـه الكبرى

(١٨) الديوان ١/٤٢ ، ٤٣ .

لعمرى ما دهرٌ به انت طيبٌ

أيحسبنى ذا الدهر احسبه دهرا ؟(١٩)

وقال فى إحدى مراثيه فى فاتك :

قبحاً لوجهك يا زمان ! فإنه

وجه له من كل لؤم برقع

أيموتُ مثل أبى شجاع فاتك

ويعيش حاسده الخصىّ الأوكع ؟!

أيد مقطعة حوالى راسه

وقفا يصيح بها ٠ ألا من يصفع (٢٠)

وبالنظر إلى معجم معانيه الهجائية نرى أنه رماه بجملة من الشنائع : رماه بالخسة ، وعيره بالعبودية ، وخساسة الأصل ، وسواد اللون ، ونقصان الفحولة ، واستفاضة البطن ، وعظم المشافر ، ونتن الريح ، وشناعة الهيئة ، ووصمه بالحمق ، والكذب ، والبخل ، واللؤم. هذا عن معجم معانيه ، أما معجمه اللفظى ففيه ألفاظ شنعة مثل الكلب ، والخويدم ، والخصى ، والأوكع ، والكركدن .. وغيرها وهذا إقذاع أصح ما يفسر به أنه من باب التماسك ، وشفاء النفس .

ولما كانت مدائح المتنبى لكافور فى أول أمره عنده احتبالا ، ومغالبة للنفس ، وحملا على الطبع جاء هجاؤه له بعد ذلك سورة نفس لا ترد ، وجيشان صدر لا يدفع .

ويمكن تقسيم أهاجى المتنبى لكافور إلى مرحلتين : الأولى : همهمات نفس ، وهى المقطعات التى كانت تتنفس فيها نفسه خلال

---

(١٩) معجز أحمد ٤/٤٤٢ .
(٢٠) الديوان ٢/٢٧٥ .

مرحلة التأميل والرجاء ، والحمل على النفس والطبع . وأكثر هذه المقطعات قيلت سنة ٣٤٩ هـ ، ومنها قوله :

لـو كـان ذا الآكـــل أزوادنــــــــاَ
ضـــيفا لأوســـــعناه إحســــانا
لكننـــــا فى العــــين أضــــيافه
يوســــــعنا زورًا وبهتانــــــــا
فليتــــه خــلىّ لنــا ســــبلنا
أعانــــــه اللـــــه وإيـــاّنـــــا (٢١)

وقـــوله :

اتحلـــف لا تكلفـــــنى مســــيرًا
إلى بلـــد أحـــاول فيـــه مــــالا
وانـــت مكلـــفى أنـبى مكانـــــا
وابعـدَ شــــقه ، واشــدّ حـــالا
إذا ســــرنا على الفســـطاط يومـا
فلقـــنى الفـــوارس والرجـــــالا (٢٢)

وقـــوله :

أنْوك مـن عبـــد ومـن عرســـــه
مـن حـــكم العبـــدْ على نفســـه
وإنمـــا يظهـــر تحكيمَـــــــه
تحكـــم الإفســـاد فى حســــه (٢٣)

وهي مما قاله فى خلوات نفسه ، وكتمه ، ثم أعلنه .

---

(٢١) الديوان ٤/٢٤٨ .
(٢٢) نفسة ٣/٢٧٥ . ولعل الصواب عن الفسطاط .
(٢٣) نفسه ٢/٢٠٣ .

والثانية : مرحلة صريح الهجاء الذى أفحش فيه ، وأقذع ، وقد مرت بعض أمثلته . وتركز هذا فيما قال سنة ٣٥٠ هـ ، وبعدها . وفى صريح الهجاء إنطلقت نفسه كالسيل الآتى ، ولم يبال بأنه كذب نفسه فيما كان قال أولا ، فما من قبيحة رمى بها كافورا فى الهجاء إلا وفى مدحه له فضيلة تقابلها ، وأنا أعلم ان هذا سائغ فى فن الشعر ، ولكننا هنا نحاكم النفس لا الفن ، ونتعقب الشاعر لا الشعر ..

وإنه ليلوح لى أن المتنبى كان كلما أدار فى نفسه معنى من معانى الهجاء برز له ما يقابله من معانى المدح مما كان قاله لكافور فيشتد فى الهجاء ليمحو بفاحش الهجاء ما كان من المدح ، وليغسل عن نفسه أوضارها . وكان كلما تمثلت له خطته الخاسرة فى نزول مصر ، وقصد كافور أحس بوخزة الهوان ، ولذعة الاستخزاء فاشتد فى الهجاء .

وقد زعم أبو الطيب أنه أخذ بمدح كافور ، وخدع فيه فقال :

أخـــذت بمدحـــه فـرأيت لهـــوا

مقـــالى للأحيمـــق يـا حليـــم

ولـمـا أنْ هجـــوتُ رأيـــت عيـًا

مقـــالى لابـن آوى يالئيـــــم

فهـــل مـن عـــاذر فى ذا وفى ذا؟

فمدفوع إلى السُـــــقم الســـــقيمُ (٢٤)

وهـذا كلام نفس تستشفى ، وتلتمس لها عـذرا ، فهو لم يؤخذ بمدح كافـور ، ولا جىء بـه فى الأغـلال ، بل جاء طواعية ، أقدمه طموحه ، وأتى به طعمه ، وحملته رجلاه ، وهو لم ير مدح كافور لهوا بل مدحه وأسبغ عليه ، ولم ير هجاءه عيا بل هجاه فاعلن ، وأقذع .

---

(٢٤) الديوان ١٥٢/٤ .

ولم يكفه هجاء كافور ، بل هجا المصريين جميعا ، ورماهم بالقبيح ، فمصر عنده أهل كل عجيبة ، وكافور أعجوبتها الكبرى ، والمصريون عبيد من ملك ، رضوا بكافور العبد ، وسكنوا إلى سلطانه، يقول :

تشابهت البهائم والعبدّى
عليناوالموالى والصميم
حصلت بأرض مصر على عبيد
كان الحرُ بينهم يتيم
كان الأسودَ اللاَّبيَّ فيهم
غرابٌ حوله رخمٌ وبوم(٢٥)

ويقول :

جازَ الأولى ملكت كفاك قدرهم
فعرّفوا بك أنّ الكلب فوقهم
لا شيء اقبح من فحل له ذكر
تقوده أمة ليستْ لها رحمُ(٢٦)

وهب أن المصريين يذمون لانهم خضعوا للملك كافور ، أليسوا في هذا أولى بالعذر من أبى الطيب الذى اقدمه الطمع على كافور ، ومدحه بما مدحه به ، وكان يعلم من أمره ما يعلم ، وله عنه مذهب لو أراد ٠ ولكن الطمع اقدمه أولا ، ثم انطقه الغيظ أخيرا ، فكان عبد نفسه وشهوتها في الحالتين ٠

والمروى من أخبار كافور ، وبعض ما قاله المتنبى مما يكون به الرجل رجلا يكذبانه في ما رمى به كافورا ٠ فقد قيل : إن كافورا

---

(٢٥) الديوان ٤/١٥١ ٠
(٢٦) الديوان ٤/١٥٠ ٠

لما غلب على ولد الإخشيد ، واستقل بالأمر دونهم لم يخرج عن حد المدبر إلى حد المالك ، فلم يقم لنفسه دعوة على المنابر ، ولا نقش باسمه سكة ، ورضى أن يخاطب بلفظ الأستاذ(٢٧) ، ولم يخاطب مدة ولايته بلفظ الأمير ، ولا بغيره من الألفاظ الجارية مجراه(٢٨) . فإن صح هذا فهو دليل على أنه كان فى الرجل تواضع يقل مثله فيمن ملك ، أو ولى .

وكان مع تواضعه ذا كفاءة ، وحصافة ، وحسن تدبير ، ونظر فى موارد الأمور ومصادرها . وقد علم ما أراد منه المتنبى فسامه ، وعلله ، وشاوقه ، ومكر به حتى أنزله على مراده هو(٢٩) وهذا من أقوى أسباب ثورة المتنبى به ، وغضبته عليه .

وكان المتنبى ممن يرى أن فخر الرجل بعمله لا بأصله ، وبجده لا بجدوده ، ولو أنه وزن كافورا بهذا الميزان لكان عنده أهلا لما مدحه به ، ولكان حريا بالا يقذع فى هجائه ... فلئن كان كافور فى أصله عبدا ، فإنه لم يكن كذلك فى همته وعمله ، بل كان يعمل عمل أحرار الرجال . فلا يكون عبدا فى همته وعمله من انتخبه محمد بن طغج لقيادة الجيش الذى أرسله للقاء سيف الدولة الحمدانى : داهية بنى حمدان سنة ٣٣٣ هـ ، ولا يكون عبدا فى همته وعمله من أدار أمر مصر

---

(٢٧) هو لفظ فارسى عربته العرب ، ومعناه فى الفارسية : العالم بالشىء الماهر به ، الذى يبصر غيره ، ويسدده ، ويقابلها فى العربية الربانى وهو العالم المعلم .
انظر : الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ص ٦٠ .

(٢٨) انظر : سر الفصاحة ١٤ .

(٢٩) انظر : رسائل الانتقاد ٦١ .

ثلاثا وعشرين سنة (٣٠) .

وبعض هذا كان حريا أن يرد أبا الطيب عن غلوه فى هجاء كافور، وإقذاعه فى شتمه ، لولا أن هجاءه - كما قلت - كان هجاء نفسيا ، وشفاء نفس .

ومن الدارسين من تسيره جاهلية عجيبة فى هذه المسالة فيتبع أثر المتنبى فى ما رمى به كافورا ، وبصفه بما وصفه به من قبيح الصفات، وهو فى مقام التاريخ الأدبى ، وهذا خطأ من قائله .

وأمر آخر . وهو أن الذى منى به المتنبى عند سيف الدولة من خيبة الأمل ، وانقطاع الرجاء أشد مما منى به عند كافور ، فالذى بين المتنبى وسيف الدولة من التناسب الموجب لمعرفة الحقوق وحفظ الأقدار أكثر من الذى بينه وبين كافور ، والذى كان أمام المتنبى من حياته يوم قدم حلب أكثر مما كان وراءه منها ، والذى فى قلبه من دواعى إقبال الحياة أكثر مما فيه من دواعى أدبارها ، وكان الأمر فى مصر بالعكس من ذلك كله .. ولكنه يكتفى بالعتب على سيف الدولة ، ثم يلين له ، ويحن إليه ، أما كافور فيهجوه فيسرف ويقذع ولا أجد لهذا تفسيرا سائغا إلا أن هجاءه لكافور كان استعلاء وشفاء نفس ، وكأنه كان يذم فى الحقيقة خياره فى قصد كافور حين يذم كافورا ..

ومدح أبو الطيب وهو فى حالته تلك رجلين يعد مدحهما فى سياقه من تاريخ نفسه فى مصر هجاء لكافور ، وشفاء نفس أحدهما : شبيب بن جرير العقيلى ، والآخر : فاتك الإخشيدى .

---

(٣٠) انظر : مقال أبو الطيب فى مصر لمحمد شوكت التونى ضمن كتاب : أبو الطيب المتنبى : حياته وشعره (مقالات مجموعة) . ٣٣٤ وما بعدها .

أما شبيب فكان قرمطيا ثائرا أمنة كافور ، واستعمله على عمان والبلقاء ، وما بينهما من السهل والجبل ، ثم علا أمره وكثر نفره ، وانف من أن يدين لكافور ، وعزم على الانفراد بدمشق ، ولكن لم يتم له هذا ، ومات بين جنده ميتة مجهولة السبب ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٨ هـ ٠

وفى شبيب هذا قال المتنبى نونية لها ظاهر وباطن ، ظاهرها نقد خروج شبيب ، وذم خيانته ، وفى ثناياها الثناء عليه ، والتوجع لموته ٠ وفيها يقول :

فإن يك إنسانا مضى لسبيله
فإن المنايا غاية الحيوان

وما كانَ إلاَّ النار فى كل موضع
يثير غبارًا فى مكان دخان

فنال حياة يشتهيها عدوه
وموتا يشهىَّ الموت كل جبان

نفى وقع أطراف الرماح برمحه
ولم يخش وقع النجم والدبران

ولم يدر أن الموت فوق شواته
معار جناح محسن الطيران (٣١)

وأبو الطيب قال هذه القصيدة فى سنة ٣٤٨ هـ ، وهو العام الذى لاحت له فيه أعلام اخفاقه فى مصر ٠ ولم يقل فى خروج شبيب حتى طلب منه كافور أن يقول فيه !! وهذا مما يسأل عنه ٠ فهل كان بين المتنبى وشبيب شيء أراد كافور أن يعلم علمه ؟

---

(٣١) الديوان ٢٤٣/٤ ، ٢٤٤ ٠

ومهما يكن من شيء فإن حديث المتنبى عن شبيب فى هذه القصيدة مثقل بالدلالات النفسية ، وكلما أعدت قراءة القصيدة بدا لى أن المتنبى كان يتحدث عن نفسه هو فى بعض ما تحدث به عن شبيب ، ويرثى نفسه هو فى بعض ما رثاه به ، ويستحضر عاقبة أمره هو ، وهو يصف ما آل إليه أمر شبيب .

وكان الذى عطف نفس المتنبى على شبيب ، حتى ترك حذره وتوقيه ، وأبدى ذات نفسه أن الرجلين كان يجمعهما أمر ، وهو الأنفة من الخضوع لكافور ، والطمع فى نيل ما فى يديه . أما شبيب ففعل حين وجد إلى الفعل سبيلا ، ولكن أمره لم يتم ، وأما أبو الطيب فركب الحيلة ، وآثر الانتظار حتى رأى نفسه ميتا عند كافور ، وهو حى . ثم كان الغدر نصيب الرجلين معا ، ابتلى شبيب بغدر الحياة ، وابتلى أبو الطيب بغدر الزمان ، وجمع بينهما المصاب ، ولهذا يقول المتنبى :

أتلتمس الأعـــداء بعـــد الـذى رأت ... قيـام دليـل أو وضـــوح بيــــان

رأت كل من ينـوى لك الغـدر يبتلى ... بغـــدر حيـاة أو بغـدر زمـــــان(٣٢)

والرجل الآخر الذى مدحه المتنبى وكان مدحه فى سياقه من تاريخ نفسه فى مصر . هجاء لكافور ، وشفاء نفس هو أبو شجاع فاتك . وهو رومى أخذ صغيرا من بلاد الروم ، ثم آل أمره إلى ابن طغج ، فأعتقه ، ونشأ فى مماليكه كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد الهمة . وحين علا أمر كافور كره فاتك جواره ، وآثر الاقامة فى الفيوم بعيدا

---

(٣٢) الديوان ٢٤٣/٤ .

عن الفسطاط أنفة من طاعة كافور ، ولكي لا يركب معه إذا ركب(٣٣) ·

وقد مدحه المتنبى بثلاث قصائد أقواهـا اللاميـة التى قالها فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٨ هـ ، فى نفس الشهر والعام الـذى مدح فيـه شبيبا بالنونية السابقة ، أى أنهما قيلتا فى حالة نفسية واحدة ·

وقد استرد المتنبى فيها بعضا من نفسه التى فقدها ، وجانبا من طريقته الشعرية ، فعاد سيرته الأولى فى المبالغـة فى المدح ، وهـدر لسانه ، وجسد فى فاتك معانى القوة والفتوة التى فقدها فى أكثر من حوله ، بل وفقدها فى نفسه هو منذ أن صار مادح العبد ، وشاعر دولة الخدم ، ترى هذا فى قوله :

كفاتـك ودخـول الـكاف منقصـة
كالشمس قلتُ وما للشمس أمثـال

القائد الأسد غذتها براثنه
بمثلهـا مـن عِداه وهىْ أشـبال

القاتل السيفَ فى جسم القتيل بـه
وللسيـوف كما للنـاس آجـالُ

لـه من الوحـش ما اختـارت أسـنته
عـير وهيْق وخنسـاءٌ وذيـّال(٣٤)

ومن وازن بين مدحه لفاتك ، ومدائحه لكافور فى العام نفسـه وجد فرقا بين المدحين ، واختلافا بين حالتى النفس التى جادت بهما ، فمدائحه لكافور فى الجملة مدائح نفس منقسمة ، وقلب غـير طيع ، ومدحه لفاتك مدح نفس مشايعة ، وقلب جميع ·

---

(٣٣) انظر : معجز أحمد ٢٠٤/٤ ·
(٣٤) الديوان ٢٧٩/٣ ، ٢٨٠ · والهيق : ذكر النعام ، والخنساء : البقرة الوحشية ، والذيال : الثور الوحشى ·

وكان الذى عطفه على فاتك هو هو الذى عطفه على شبيب فالثلاثة يجمعهم معنى واحد وهو كراهية الخضوع لكافور ، والطمع فيما فى يديه ... ويفهم من بعض الروايات التاريخية ، وإشارات فى شعر المتنبى ، انه وفاتكا كانا على رأى واحد فى أمر كافور وملكه ، وأنهما كانا يضمران له العداوة ، والشنآن(٣٥) . وكذلك كان شبيب العقيلى.

والتذوق النفسى للامية السابقة يدل على أن المتنبى فيها كمن عادت إليه نفسه ، أو عاد إليها ، وأنه فى مدح فاتك كمن يغسل نفسه مما علق بها ، ويمدح المتنبى الجديد الذى فك عن نفسه قيود الرجاء العقيم ، والأمل المذل . وفى هذه القصيدة عاد إلى بعض طريقته الأولى ، ومذهبه الأول ، فأعطى نفسه حظا من الفخار ، وقاسم الممدوح الفضائل ، بعد أن كان أكثر حظه فى مدائحه لكافور الشكوى ، والغناء الحزين ، فقال :

وإن تكن محكمات الشكل تمنعنى
ظهور جرى فلى فيهن تصهال

وما شكرت لأن المال فرحنى
سيان عندى إكثار وإقلال

وقال :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

وإنما يبلغ الإنسان طاقته
ما كل ماشية بالرجل شملال

---

(٣٥) انظر : معجز أحمد ٢٠٤/٤ ، ٢٠٦ ، والصبح المنبى ١٢٠ .

إنا لفي زمن ترك القبيح بـه

من أكثر الناس إحسان وإجمـال

ذكرُ الفتي عمره الثاني وحاجته

ما فاته وفضول العيش أشغال (٣٦)

وخلاصة القول : ان أهاجي المتنبي لكافور ، وما اتصل بها من مدح خصومه من الشعر النفسي الذي يعد من بعض وجوهه استعلاء ، وتقويا ، وشفاء نفس .

وكذلك كانت فخرياته التي قالها في مهربه من مصر وبعيده . فالمعروف من مذهب أبي الطيب قبل مصر أنه كان تياها ، يتعاظم ، ويذهب بنفسه كل مذهب ، وأن الفخر الطاغي كان أحد معاني نفسه ، وأعمده شعره . ولكن فخره بعد إخفاقه في مصر وانكساره مختلف جدا عن فخاره القديم ، كان فخارا جريحا ، ويتمثل هذا فيما قاله من الفخر سنة ٣٤٩ هـ ، وما بعدها .

ففي قصيدة الحمى التي فسرت بأنها حمى نفس ، انتهت به إلى حمى جسد يقول :

ذراني والفلاة بلا دليل

ووجهي والهجير بلا لثام

فإني استريح بذا وهذا

واتعب بالإناخة والمقام

عيون رواحلي إن جرت عيني

وكل بغام رازحة بغامي

فقد أرد المياة بغير هاد

سوى عدّي لها برقَ الغمام

---

(٣٦) الديوان ٣/٢٧٨ ، ٢٨٧ .

يذم لمهجتي ربي وسيفي

إذا احتاج الوحيد إلى الذمام(٣٧)

وهذا الفخر المجلجل ظاهره لا يخفى ما وراء من النفس المكروبة، التى تؤودها قيودها ، ويثقل عليها إخفاقها ، ويشق عليها فقد ما فقدت من حريتها ، فهى لهذا تتماسك وتستشفى ، وتشتهى أن تترك للفلاة بلا دليل ، وللهجير بلا لثام . وقوله : ذرانى والفلاة .. يكشف بجلاء عن وطأة ما كان يعانيه من القيد : قيد النفس ، وقيد الجسد .

وقد عمد المتنبى فى البيتين الأخيرين إلى أسلوب الالتفات النفسى، فاستحضر صورا من فتوته قبل المحنة ، ورجولته قبل الكريه ، يوم أن كان يرد المياه بغير هاد سوى عده برق الغمام ، ويذم لمهجته ربه ثم سيفه . والالتفات فى هذه الأبيات وغيرها من وسائل أبى الطيب إلى شفاء النفس ، والاستعلاء على المحنة .

ومن وسائله إلى هذا أيضا فى هذه القصيدة أنه جسد صورة قبيحة لمن هانت عليه نفسه ، وعجز وهو قادر على التمام فقال :

عجبت لمن له قدٌّ وحدٌّ

وينبو نبوة القضم الكهام

ومن يجد الطريق إلى المعالى

فلا يذر المطيّ بلا سنام

ولم أر فى عيوب الناس شيئا

كنقص القادرين على التمام(٣٨)

وهذا المعنى يصدق على المتنبى يومئذ إلى حد كبير ، حين

---

(٣٧) الديوان ١٤٣/٤ ، ١٤٤ .

(٣٨) الديوان ١٤٥/٤ .

استذله طمعه ، وقيـده رجـاؤه ، وباع لهذا ما باع من نفسه . وإذا كان يعجب ممن هذا حاله فإنه فى واقع الأمر يعجب من نفسه ، بل يقرعها لركونها إلى الرجـاء العقيـم فى ظل دولـة الخـدم ، ويدعوها إلى الاستشفاء . ولذا ربط بـين هذه الأبيات وبين إقامتـه الذليلة في أرض مصر ، فقال بعقبها :

أقمـت بأرض مصـر فـلا ورائى
تخـب بى المطـى ولا أمامـى
وملـنى الفراش وكان جنـبى
يمـل لقـاءه فى كـل عـام

ويقوى هذا الاحساس بالتقوى فى آخر قصيدة مدح بها كافورا ، ولم يلقه بعدها . فبعد مطلع وعر التركيب يقول فى وصف نفسه :

وفى الجسـم نفسى لا تشـيب بشـيبه
ولو أن ما فى الوجـه منـه حـراب
لهـا ظفـر إن كـل ظفـر أعـده
ونـاب إذا لم يبـق فى الفـم نـاب
يغـير مـنى الدهـر ما شـاء غيرهـا
وأبلـغ أقصى العمـر وهى كعـاب

ويطلق هذه النفس من عقلها فيقول :

وإنى لنجـم يهتـدى بى صـحبتى
إذا حـال من دون النجـوم سـحاب
غـنى عـن الأوطـان لا يسـتفزني
إلى بلـد سـافرت عنـه إيـاب
وأصدي فـلا أبـدي إلي الماء حاجـة
وللشمس فـوق اليعمـلات لعـاب

وللسـر منى موضع لا ينالـه
نديم ولا يُفضى إليـه شـراب
تركنا لأطراف القنا كل شهوة
فليس لنا إلا بهن لِعاب

وهـذا حديث نفس بعثت بعد طول رقاد ، وضـرق مرقد ، ونفضت عنها أكفافها . واجتهدت فى أن تغسل ما علق بها من القـذى ، والأذى .

ومن عجيب فخاره النفسى قصيدته التى سجل فيهـا هروبه من مصر ، وقد ضمنها ضروبا عجيبة من شفاء النفس ، وإماطة ما لحق بهـا من الأذى . فبعد أن ذكر رحلة ناقته ، وما مرت به من البـلاد والمواضع قال :

فلما انخنا ركزنا الرما
ح فوق مكارمنا والعُلا
وبتنا نقبل اسيافنا
ونمسحها من دماء العدا
لتعلم مصر ومن بالعراق
ومن بالعواصم انى الفتى
وانى وفيت وانى ابيت
وانى عتوت على من عتا
ولا كل من قال قولا وفى
ولا كل من سيم خسفا أبى
ولا بد للقلب من آلة
ورأى يصدّع صُمّ الصفا .(٣٩)

---

(٣٩) الديوان : ١/ ٤١ ، ٤٢ .

وإذا حقق هـذا الفخر الطاغى ، وما اشتمل عليه من ذكر الرماح المركوزة بين المكـارم والعلا ، وتقبيل السيوف بعد مسحها من دمـاء العـدا ، وإعلام من بمصر والعـراق وسـائر العواصم أن المتنبى هو الفتى ، وأنه وفى ، وعتا ، وأبى على من أبـى = "وجـد" فخرا أكبر من سـببه .

فأبو الطيب خرج من مصر خائفا يترقب ، يرجو الفوت ، ويخشى اللـحـاق ، وركب الليل جملا . وغاية ما فى الأمر أنه هارب" نجا ، وفار" أفلت . وإذا جـاز لغير أبى الطيب أن يفخـر بمثل هـذا ، فأمره هو مختلف ، فكيف يفخر بالهرب والفرار مثل هـذا الفخر من كان يزعم أنه مجندل الملوك ، ومديل الدول ؟

وقد افتخر بمهربه من مصر فى قصيدة أخرى فقال :

قطعت بسـيرى كل يهماء مفـزع
وجبت بخيـلى كل صـرماء بلقع
وثلمت سـيفى فى رءوس وأذرع
وحطمت رمحى فى نحـور وأضـلع
وصـيرت رأيى بعـد عزمى رائـدا
وخلفـت آراء توالت بمسمعى(٤٠)

نعم إن توفيقه فى الهرب ، وفوته طالبيه ، وبلوغه غايته فيـه موضع لفخر ، ولكن ليس إلى هـذا الحـد ، ولا ممن جاء مصر طامعا ملكا وولاية . وليس لهذا من تفسير مقبول سوى أنه استعلاء ، وشفاء نفس .

وأعجب شىء قوله : وثبنا نقبل أسيافنا ، ونمسحها من دمـاء العدا . وقوله : وثلمت سيفى فى رءوس وأذرع . والذى فى أخبار رحلته

(٤٠) معجز أحمد : ٤٤١/٤ .

من مصر انه صحب فى مسيره جماعة من العرب(٤١) ، ولقى عند ماء نخل فى التيه من سيناء رجالا صادرين عن الماء فأخذهم ثم تركهم ، وضرب وجه عبد من عبيده بالسيف فقتله(٤٢) . فهل يقال فى أخذ وفد صادرين عن الماء ثم تركهم ، وضرب وجه عبد لخارج : نقبل أسيافنا ، ونمسحها من دماء العد ، وثلمت سيفى فى رءوس وأذرع ؟!! . ولكنه التقوى ، وشفاء النفس السقيمة .

لقد كان هروب المتنبى من مصر ، وما وقع له فيه من الحوادث فرصة تنفست فيها نفسه . وشعره يدل على أنه فكر فى الهروب قبيل أواخر عام ٣٤٩هـ ، وبات يتحين الفرصة لانفاذ ما عزّم عليه ، يقول من قصيدة له يومئذ :

وللسر منى موضع لا ينـاله
نديم ولا يفضى إليـه شراب(٤٣)

وإذا تأملنا هذا البيت فى سياقه وجدنا أن أقرب ما تنصرف إليه كلمة « السر » الذى لا يناله نديم ، ولا يفضى إليه شراب هو عزمه على الرحيل من مصر .

ومن شفاء النفس وصفه لغلمانه الذين كانوا يقومون على خدمته فى رحلته من مصر ، يقول فيهم :

فى غلمة اخطروا أرواحهم ورضوا
بما لقين رضا الأيسار بالزّلم

---

(٤١) انظر : الخصائص : ٢٣٩/١ ، وراجع . الصبح المنبى : ١٢٤ .
(٤٢) انظر : معجز أحمد : ١٧٩/٤ ، ١٨٣ .
(٤٣) الديوان : ١٩٢/١ .

تبـدو لنـــا كلمـا التفّوا عمائمهم
عمـائمٌ خلقت سُــودا بـــلا لثُم
بيض العوارض طعانون من لحقـوا
من الفـــوارس شـــــلاّون للنّعم
قد بلغــوا بقنـــاهم فوق طاقتـــه
وليس يبلغُ مـا فيهـــم من الهمـم
فى الجـــــاهلية إلاّ أن أنفســـهم
من طيبهن به فى الأشـــهر الحرُم
ناشـوا الرّماح وكانت غير ناطقـــة
فعلموها صياح الطير فى البُهَم(٤٤)

فهو يصف غلمة يقومون على دوابه ورحـاله بما يوصف به جيش جـرار ، زاحف ، ملأ الأرض . وهذا حديث نفس خاب رجاؤها فى واقع الحياة ، فالتمسته فى خيالات الشعر .

وكانى بأبى الطيب قـد داعبته الآمـال وهو قـادم إلى مصر . وحدثتـه نفســه بأنه ســـينال ملكا ، ويخـــرج من الفسـطاط بجيش زاحف ، يفتح البلاد ، ويقوض العروش .. ولكنه خرج منها متخفيا فى فتيــة من خاصـته ، فأراهموه الوهم ، والعقل البـاطن على صــورة الجيش الزاحف ، والجمع الكثير العدد (٤٥) .

وكان أبو الطيب فى مرحـلة قوة رجـائه قد سـكت عن مذهبـه القـديم فى ركوب السيف ، وتحكيمه فى رقاب العباد .. ، ولكنـــه بعـد أن أيقن بالإخفاق والحـرمان عاد سيرته الأولى فقدم السيف على الشعر ، أو قل ضعف إيمانه بالشعر ، وقــوى إيمانه بالسيف كوسـيلة

---

(٤٤) الديوان : ١٥٧/٤ .
(٤٥) راجع : مع المتنبى : ٣٤١ .

لتحقيق الآمال . قال فى القصيدة التى سجل فيها خروجه من مصر :

ما زلت أضحك إبلى كلما نظرت
إلى من اختضبت اخفافها بدم
اسيرّها بين اصنام أشاهدها
ولا اشاهد فيها عِفّة الصنم
حتى رجعت واقلامى قوائل لى
المجد للسيف ليس المجد للقلم
أكتب بنا أبداً بعد الكتاب بِه
فإن غفلت فدائى قلة الفهم
أسمعتنى ودوائى ما اشرت به
فإنما نحن للأسياف كالخدم
من اقتضى بسوى الهندى حاجته
اجاب كل سؤال عن هل بِلَمِ ..

ويقول فيها :

فلا زيارة إلا ان تزورهم
أيد نشأن مع المصقولة الخُذُمِ
من كل قاضية بالموت شفرته
ما بين منتقم منه ، ومنتقم
صنّا قوائمها عنهم فما وقعت
مواقع اللؤم فى الأيدى ولا الكزَمِ(٤٦)

وربما أوهم بعض شعر المتنبى أنه آمن بالقلم موصلا إلى ما أراد من المجد فى مصر ، حتى دلته حوادث الأيام على أن المجد للسيف

---

(٤٦) الديوان : ٤/١٥٩ ـ ١٦١ . والكزم : قصر اليد .

لا للقلم ، ولكن الأرجح أن المتنبى لم يفقد إيمانه بالسيف ، ولا أمن بالشعر إيمانه بالسيف فى يوم من الأيام ، وقد نبه العقاد على هذا المعنى من قبل فقال : إن المتنبى كان يستكثر نفسه على الشعر ، ويطلب لها مرتبة فوق مرتبة الشاعر لأنه كان يرى أنه خلق للملك والقيادة ، وكل ما دون هذا إنما هو من الوسائل إلى تلك الغاية ، وذلك المطمح(٤٧) . والملك ينال بالسيف ، وقلما ينال بالشعر .

ويدخل فى شفاء النفس أيضا بعض غنائه الوجدانى الذى أعطى فيه نفسه خطها من البوح ، وتركها تتنفس بحرية ، بعد أن حمل عليها زمنا ، وقمعها طويلا ، قال فى إحدى هجائياته لكافور :

أمـا فى هـذه الدنيـا كريم
تزول بـه عن القـلب الهُمُومُ ؟!
أمـا فى هـذه الدنيـا مكان
يُسَرُّ بأهـله الجار المقيم ؟!!(٤٨)

وقال فى القصيدة التى دون فيها خروجه من مصر :

هَـوِّن على بصر ما شَـق منظـره
فإنمـا يقظـات العـين كالحـلم
ولا تَشَكَّ إلى خـلق فتشـمته
شـكوى الجريح إلى الغربان والرخم
وكن على حـذر للنـاس تستره
ولا يغرنك منهـم ثغر مبتسـم
غاض الوفـاء فما تلقـاه فى عـدة
وأعوز الصـدق فى الأخبـار والقَسَم

---

(٤٧) انظر : مطالعات فى الكتب : ١٨٢ .
(٤٨) الديوان : ٤/١٥١ .

سبحان خالق نفس كيف لذتها
فيما النفوس تراه غاية الألم
الدهر يعجب من حملى نوائبه
وصبر جسمى على احداثه الحطم
وقت يضيع ، وعمر ليت مدته
فى غير امته من سالف الأمم
أتى الزمان بنوه فى شبيبته
فسرّهم واتيناه على الهرم(٤٩)

وهذه معان يدخل بعضها فى بعض . فيها شكوى الزمان وأهله وسوء الظن بالناس ، والتعجب من وعورة مطالب النفس .. وأبو الطيب فى هذا الشعر وما اشبهه يريد أن يحمل الحياة والأحياء تبعة إخفاقه ، ويجعلهما سبب شقائه ، وقلما يرد ذلك إلى عسر مطلبه .. وهذا ضرب من نصرة النفس ، ومحاولة شفائها بالتماس المخارج لها ، والاعتذار عنها .

ومن جديد معانى نفس المتنبى وشعره فى هذه المرحلة تأمله فى واقع نفسه ، وغلبة النظرة الواقعية عليه بعد ما كان ديدنه رفض الواقع والثورة عليه ، يقول فى قصيدة مما تنفست فيه نفسه ، ولم ينشده كافورا :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم فى شأنه ما عنانا
وتولّوا بغصّة كلهم منـ
ـه وإن سرّ بعضهم أحيانا

---

(٤٩) الديوان : ١٦٢/٤ ، ١٦٣ .

ربمـــا تحسن الصـــنيع ليــــالي

ــــه ولـكن تـكدر الإحســــــانا

وكانا لم يرض فينـــــا يريب الـــ

ـدهر حـتى اعـــانه من اعـــانا

كلما انبت الزمـــــان قنـــــــاة

ركب المـــرء فى القنـاة ســــنانا

ومراد النفـــــوس اصــغر من ان

نتعـــادى فيــــه وان نتفـــانا(٥٠)

وهذه واقعية جديدة تعلمها ابو الطيب من محنته فى مصر ، بعد أن ذللته الأحـداث وراضته على بعض ما كان ينفر منه .

على أن تماسك أبى الطيب الظاهر فى فخاره وهجائه إنما هو من باب التجـلد للحياة والأحياء ، واستبقاء ما بقى من النفس . ولذا جاء هذا التماسك والتقوى مصبوغا بمعانى الحزن والشـــكوى ، الدالين على انكسار النفس وتضعضعها . ففى إحدى هجائياته لكافور يمزج هجاءه الذى شـفى فيه نفسه بغنـاء حزين بائس ، فيقول :

افيقـا : خمـار الهمّ نغصنى الخمر

وسكرى من الأيـام جنبنى السُـكر

تسـر خليــلى المدامــــة والـــذى

بقـلبى يابى ان اسَــرَ كما سُرّا

لبست صــروف الدهر أحسن ملبس

فعرقننى نابا ، ومزقننى ظفـــرُ

(٥٠) الديوان : ٤/٢٣٩ ـ ٢٤١ .

وفى كل لحظ له ومسمع نغمــة
يلا حظننى شرزاً ويوسعننى هجـرا(٥١)

وكان الاغلب على أبى الطيب قبلُ أنه لا يعترف بضعفه ، ولا يقر بعجزه ، ويطاعن خيلا من فوارسها الدهر كما كان يقول ، ولكنه الآن معترف مقر بعتو الزمان عليه .

وفى القصيدة التى قالها قبل خروجه من مصر بيوم واحد . يشكو ويتوجع فيقول :

يــا ســـاقيَىَّ أخَمرٌ فى كئوسكما
أم فـى كئوسـكما هـــم وتَسْهيد
أصـخرة أنا ؟ ما لى لا تحـركنى
هذى المدام ولا هذى الأغاريد ؟ ..
ماذا لقيت من الدنيـــا ؟ وأعجبهـا
أنى بما أنا باك منه محسُـود(٥٢)

وهـذا كلام نفس مثقلة .

ويفتتح أبو الطيب قصيدته الاستعلائية التى ذكر فيها خروجه من مصر بمطلع طويل فى الناقة فيقول :

ألا كل ماشــــية الخيـــز لــى
فــدى كـل ماشـــــية الهَيْدبَى
وكــل نجـــــاة بجـــاوية
خنـوف ، وما بِىَ حسنُ المِشى

---

(٥١) معجز أحمد : ٤٤١/٤ .
(٥٢) الديوان : ٤١/٢ .

ولكنون حبال الحيـــــاة
وكيد العـــداة ومَيْط الأذى
ضربت بها التيه ضربَ القما
ر إمّا لهـــذا ، وإما لـذا
إذا فزعت قدمتهـا الجيـــاد
وبيض السيوف وسمرُ القنا
فمرّت بنخل وفى ركبهـا
عن العـاملين وعنـه غنى
وامسـت تخبّرنا بالنقـا
ب وادى المياه ووادى القـرى
وقلنـا لهـا اين ارض العـراق
فقالت ونحن بترْبان : هنَا
وهبّت بحسمى هبوب الدبو
ر مستقبلات مَهَبَّ الصَّبَا(٥٣)٠٠

وهو لم يصف الناقة هنا بما وصفها به ، وينسب إليها أفعال نفسه إلا لأنها كانت كما قال ـ حبل حياته ، وكيد عداته ، وميط أذاه اى : شفاء نفسه ٠

على انى أرى فى اتخاذ الناقة معاد لا موضوعيا لنفسه ، واجراء أفعال نفسه عليها ، حيلة فنية ونفسية حتى لا ينسب فعل الهروب إلى نفسه ٠ فهى التى مرت بنخل ، وأمست تخبره بالنقاب ووادى المياه ووادى القرى ، وقالت له : هذه أرض العراق ، وهبت بحسمى ٠٠الخ ٠

---

(٥٣) الديوان : ١/٣٦ ـ ٣٩ ٠

فإن صح هذا التفسير فهى حيلة فيها براعة الفن ، ولكنها تخفى وراءها ما تخفى من الضعف ، فكأن الناقة كانت ستره الذى ستر به ضعف نفسه ، واستعلى به على هذا الضعف فى آن واحد ٠

والخلاصة أن شعر المتنبى الذى تقوى فيه وتماسك ، واستعلى على محنته لا يخفى عنا أن اخفاقه فى مصر كان محنة نفسه الكبرى ، التى عجمته عجما شديدا وغيرت كثيرا من مذاهبه الفكرية والنفسية ٠

المصادر والمراجع

١ - **أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين** : للدكتور مصطفى الشكعة، عالم الكتب . بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣ .

٢ - **أبو الطيب المتنبى** : حياته وشعره (مقالات مجموعة بأقلام نخبة من الباحثين . المكتبة الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت .

٣ - **الأسلوبية والأسلوب (نحو بديل السنى فى نقد الأدب)** : للدكتور عبد السلام المسدى . الدار العربية للكتاب . ليبيا وتونس سنة ١٩٧٧ م .

٤ - **أعيان الشيعة** : للسيد محسن الأمين ، حققه وأخرجه واستدرك عليه حسن الأمين . دار التعارف للمطبوعات . بيروت .

٥ - **الانفعالية والإبلاغية فى البيان العربى** : لعاصم كمال السيوفى . دار الحداثة للطبع والنشر والتوزيع . الطبعة الأولى لبنان ١٩٨٦.

٦ - **الخصائص لابن جنى** : تحقيق محمد على النجار . دار الكتاب العربى .

٧ - **الخيال الشعرى عند أبى الطيب المتنبى** : للدكتور طه مصطفى ابو كريشة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ م .

* - **ديوان أبى الطيب المتنبى بشرح ابى البقاء العكبرى المسمى بالتبيان فى شرح الديوان** : ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، وإبراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى الحلبى الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ م .

٨ - **ذكرى أبى الطيب بعد الف عام** : لعبد الوهاب عزام ، ط دار المعارف .

٩ - **رائد الدراسة عن المتنبى** : وضعه كوركيس عواد ، وميخائيل عواد، دار الرشيد للنشر . بغداد سنة ١٩٧٩ م - سلسلة المعاجم .

١٠ - سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي : تحقيق عبد المتعال الصعيدي. مطبعة صبيح سنة ١٩٥٢ م .

١١ - شاعرية المتنبى فى نقد القرن الرابع الهجرى : للدكتور محيى الدين صبحى . دمشق سنة ١٩٨٣ .

١٢ - شرح ديوان أبى الطيب المتنبى (المعروف بمعجز أحمد) لأبى العلاء المعرى : تحقيق الدكتور عبد المجيد دياب . دار المعارف بمصر .

١٣ - شرح ديوان أبى الطيب المتنبى لابن جنى : تحقيق د. صفاء خلوصى ، مطبعة الجمهورية . بغداد سنة ١٩٧٠ م .

١٤ - شعر المتنبى : قراءة أخرى للدكتور محمد فتوح أحمد ، دار المعارف سنة ١٩٨٣ م .

١٥ - الصبح المنبى عن حيثية المتنبى ليوسف البديعى : تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف سنة ١٩٧٧ .

١٦ - فن المتنبى بعد ألف عام : لإبراهيم العريض ، الكويت . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ م .

١٧ - كافوريات أبى الطيب : دراسة نصية للدكتور النعمان القاضى ، مركز كتب الشرق الأوسط سنة ١٩٧٥ م .

١٨ - الكشف عن مساوىء شعر المتنبى لأبى القاسم إسماعيل بن عباد: تحقيق محمد حسن آل ياسين . مكتبة النهضة . بغداد سنة ١٩٦٥ الطبعة الأولى .

١٩ - لسان العرب لابن منظور المصرى : طبعة دار المعارف .

٢٠ - المتنبى لمحمود محمد شاكر : مطبعة المدنى سنة ١٩٧٦ م .

٢١ - المتنبى بين ناقديه فى القديم والحديث : للدكتور محمد عبد الرحمن شعيب ، دار المعارف سنة ١٩٦٤ م .

٢٢ — **المتنبى حكمه وامثاله :** لعلى رضا ، بدون ذكر مطبعة أو تاريخ .

٢٣ — **المتنبى والثورة :** لانعام الجندى ، دار الفكر اللبنانى .

٢٤ — **المتنبى مالىء الدنيا وشاغل الناس :** (مقالات مجموعة) .
دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة العراقية ، سلسلة دراسات(١٦٨)

٢٥ — **مطالعات فى الكتب والحياة :** لعباس العقاد . دار الكتاب العربى
بيروت .

٢٦ — **مع المتنبى :** للدكتور طه حسين ، طبعة دار المعارف .

٢٧ — **معجم الادباء :** لياقوت الحموى دار الفكر العربى ، الطبعة
الثالثة سنة ١٩٨٠ م .

٢٨ — **نفسية أبى نواس :** للدكتور محمد النويهى . مكتبة النهضة
المصرية ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣ م .

٢٩ — **الوساطة بين المتنبى وخصومه :** لعلى بن عبد العزيز الجرجانى ،
تصحيح أحمد عارف الزين ، مطبعة محمد على صبيح .

٣٠ — **يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر :** لابى منصور الثعالبى .
دار الفكر ببيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٣ م .

لحق المراجع(*)

١ – أبو الطيب فى مصر : محمد شوكت التونى . مجلة الهلال (٤٣) . القاهرة سنة ١٩٣٥ (من صفحة ١١٦٥ إلى ١١٦٨) .

٢ – أبو الطيب المتنبى ونسبه العلوى : وديع تلحوق . المقتطف يوليو ١٩٣٦ (من صفحة ٢٣١ إلى ٢٣٥) .

٣ – أبو الطيب المتنبى وشخصيته : د. محسن جمال الدين ، مجلة الكويت ، عدد ٩٤ أكتوبر ١٩٦٦ (من صفحة ٢٢ إلى ٢٣) .

٤ – أبو الطيب المتنبى بين الغرور والطموح والحزن : على ادهم ، فصل من كتابه على هامش الأدب والنقد (من صفحة ٧٠ إلى ٧٩)

٥ – ابو الطيب المتنبى كان عبقريا .. ولكن : خليل مطران ، جمع فى كتاب ابو الطيب المتنبى حياته وشعره (أنظره فى ثبت المراجع)

٦ – أبو الطيب تاجر من تجار الأدب : سليم عبد الأحد ، جمع فى كتاب أبو الطيب المتنبى حياته وشعره .

٧ – الاتجاه الباطنى فى شعر المتنبى : عزيز عارف ، مجلة المورد ، عدد ٣ ، سنة ١٩٧٧ (من صفحة ٩٧ إلى ١٠٨) .

٨ – أثر الإخفاق فى شعر المتنبى : صبيح صادق ، مجلة المورد ، عدد٣ سنة ١٩٧٧ (من صفحة ١١٣ إلى ١٢٠) .

٩ – امنية المتنبى التى لم تتحقق : عبد الله كنون ، فصل من كتابه التعاشيب ، طبعة المغرب ١٩٤٦ م (من صفحة ٥١ إلى ٥٩) .

١٠ – بين المتنبى وكافور : نور شمس الدين ، الرسالة والرواية (١٩) ، القاهرة ١٩٥١ (من صفحة ٨٦٣ إلى ٨٦٥) .

(*) مقاولات وفصول عن المتنبي ، وقفت علي بعضها دون اكثرها ، ورأيت فى إثباتها هنا فائدة .

١١ - **البطل القومى فى شعر المتنبى** : عبد الرازق البصير ، من أبحاث مهرجان المتنبى فى بغداد (من صفحة ٥ إلى ١٠) تشرين الثانى سنة ١٩٧٧ م .

١٢ - **التضخم الذاتى عند المتنبى** : أسبابه ومظاهره ، عدنان عيسى العوادى ، مجلة الأقلام عدد (٣) ج (٤) بغداد سنة ١٩٦٦ م (من صفحة ١٦٧ إلى ١٧٨) .

١٣ - **تفسير شخصية المتنبى من شعره** : د. داود سلوم ، مجلة الكتاب التى تصدرها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد ، تشرين الثانى ١٩٧٢ . العدد (٤) (من صفحة ١٧ إلى ٤٠) .

١٤ - **الثورية فى شعر المتنبى** : على الشوك ، مجلة المقتطف بغداد سنة ١٩٦٠ عدد (١٧) (من صفحة ٥ إلى ٢١) .

١٥ - **جنون العظمة فى المتنبى ، مرض نفسى** : عبد الرحمن صدقى ، مجلة الهلال (٤٣) القاهرة ١٩٣٥ (من صفحة ١١٧٧ إلى ١١٨٢)

١٦ - **جنون العظمة فى المتنبى فضيلة خلقية** : طاهر أحمد الطناحى ، مجلة الهلال (٤٣) ، القاهرة ١٩٣٥ (من صفحة ١١٨٢ إلى ١١٨٧) .

١٧ - **حقيقة التصغير فى شعر المتنبى** : يوسف حسين بكار ، مجلة الأقلام ، بغداد سنة ١٩٦٦ ، ج (٨) (من صفحة ١٦٨ إلى ١٧٥)

١٨ - **حياة المتنبى حياة متعبة ممزوجة بالدم** : شفيق جبرى ، جمع فى كتاب : أبو الطيب المتنبى : حياته وشعره .

١٩ - **الحياة الفنية فى عصر المتنبى** : حسن محمد الهوارى ، جمع فى الكتاب السابق .

٢٠ - **الدسائس بين المتنبى والصاحب بن عباد** : زكى مبارك جمع فى الكتاب السابق .

٢١ - **سر الاحتفال بالمتنبى** : د.محمد حسين هيكل ، جمع فى الكتاب السابق .

٢٢ - **الشاعر الطموح** : على الجارم ، الحلقة (٥) من سلسلة اقرأ ، القاهرة ١٩٤٧ .

٢٣ - **الشاعر أبو الطيب** : على الجارم ، جمع فى كتاب : أبو الطيب المتنبى : حياته وشعره .

٢٤ - **شخصية المتنبى فى شعره** : عباس العقاد ، جمع فى الكتاب السابق

٢٥ - **الشعر الذى انشاه المتنبى لنفسه** : د. محمد عوض محمد ، بحوث مجمع اللغة العربية ، الدورة (٣٢) ، القاهرة ١٩٦٦ (من صفحة ٢٥ إلى ٤٢) .

٢٦ - **شهرة المتنبى شهرة العظمة والفن الخالد** : محمد محمد توفيق ، جمع فى كتاب : أبو الطيب المتنبى : حياته وشعره .

٢٧ - **العروبة فى شعر المتنبى** : د. شوقى ضيف ، فصل فى كتابه: فصول فى الأدب والنقد ، دار المعارف ١٩٧١ (من صفحة ٧٣ إلى ١٠٦) .

٢٨ - **غزل المتنبى وحبه** : على الجندى ، صحيفة دار العلوم ، القاهرة ١٩٣٦ (من صفحة ١٧٥ إلى ١٩٨) .

٢٩ - **الغموض فى شعر المتنبى** : عبد الرحمن البرقوقى ونقولا حداد ، جمع فى كتاب : أبو الطيب : حياته وشعره .

٣٠ - **الفصل فى نبوءة المتنبى من شعره** : عبد المتعال الصعيدى ، مجلة الرسالة ، القاهرة ١٩٣٦ (صفحة ١٨٠٤،١٨٠٥،١٨٤٨،١٨٤٩)

٣١ ـ **كافور بين مدح المتنبي وهجائه** : إبراهيم مصطفى الواعظ ١٩٥٨ ذكر في كتاب : مصادر الدراسة الأدبية للدكتور يوسف اسعد داغر .

٣٢ ـ **المتنبي بين محاسنه ومباذله** : شكيب ارسلان ، جمع في كتاب ابو الطيب المتنبي : حياته وشعره .

٣٣ ـ **المتنبي وكافور** : د. نعمات احمد فؤاد ، مجلة الرسالة ، القاهرة ١٩٤٨ (من صفحة ٧٠٧ إلى ٧٠٨) .

٣٤ ـ **المتنبي في مصر** : د. علي النجدي ناصف ، صحيفة دار العلوم ، القاهرة ١٩٣٦ ، ج (٤) (من صفحة ٣٣ إلى ٥٢) .

٣٥ ـ **المتنبي بين نفسيته وشاعريته** : د. محمد مهدي علام ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٦٣ (من صفحة ١٥ إلى ٣٣) .

٣٦ ـ **المتنبي شاعر التمرد** : د. صفاء خلوصي ، جريدة المرفأ ، البصرة ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧ صفحة (٤) .

٣٧ ـ **المتنبي والقرامطة** : محمد برادة ، مجلة البحث العلمي يصدرها المركز الجامعي للبحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ، الرباط يناير ـ أبريل سنة ١٩٦٤ ، عدد (١) (من صفحة ١٠٠ إلى ١١١)

٣٨ ـ **المتنبي في مصر** : أحمد بدوي ، صحيفة دار العلوم ، القاهرة ١٩٣٦ ج (٤) (من صفحة ٨٠ إلى ١١٢) .

٣٩ ـ **المتنبي بين الطموح والاحباط** : منذر خلف الجبوري ، جريدة الجمهورية ، بغداد ، ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٧٧ م .

٤٠ ـ **نبوة المتنبي** : د. مهدي المخزومي ، مجلة الغري ، النجف ٧ آب ١٩٤٥ ، العدد (٢١) (من صفحة ٣٦٨ إلى ٣٧٠) .

٤١ ـ **نشاة المتنبي** : الشيخ عبد الوهاب النجار ، صحيفة دار العلوم القاهرة ١٩٣٦ ، ج (٤) (من صفحة ٢٧ إلى ٣٢) .

٤٢ ـ **نفسية المتنبى** : محمد مظهر سعيد ، جمع فى كتاب : أبو الطيب. المتنبى : حياته وشعره .

٤٣ ـ **هل كان المتنبى متدينا** : على ادهم ، جمع فى كتاب · أبو الطيب المتنبى : حياته وشعره ·

٤٤ ـ **هل كان المتنبى فيلسوفا** : أحمد أمين ، جمع فى الكتاب السابق·

٤٥ ـ **الوصف فى شعر المتنبى** : انيس المقدسي ، جمع فى الكتاب السابق

فهرس الكتــاب

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
١٩٩٣/٧٢٤١
تحريرا فى ١٩٩٣/٣/٢٩

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٠٦٧٢٤